

کتابخانه

# الزهاوی

شاعر الحرية

١٨٦٣ — ١٩٣٦

بقلم

انور البغدی

كتب ثقافية  
الكتاب ٣٨

# الزهاوي

شاعر الحرية

١٨٦٣ — ١٩٢٦

بقلم

انور الجندی

## تصدير

منذ ربع قرن خلف جميل صدقي الزهاوى دنيانا • وقد  
جاوز السبعين فما ذكره خلال هذه التاريخ الطويل الذى أوشك  
أن يكمل ربع قرن من الزمان ذاكرة الا بضع محاضرات ألقيت  
فى معهد من المعاهد العالية وفصل أو فصلين فى مجلة هنا  
أو هناك • واذا كان الزهاوى قد لقي الاغضاء من الرجيين  
أو الجامدين فلماذا نسيه المجددون وحملة ألوية الفكر الحس  
الناهض • واذا كان أبناء عصره وجيله قد غصوا من قدره  
فما باله اليوم وقد ظهر جيل جديد فى العالم العربى يؤمن  
بتقدير الاحرار من رجال الفكر وحملة المشاعل فى طريق  
التجديد والبعث • هؤلاء الاحرار الذين اذا ذكروا كان جميل  
صدقى الزهاوى - بلا جمالة أو مبالغة - من أوائلهم وروادهم  
فهو شاعر الحرية الذى احتمل فى سبيل دعوته عنتا شديدا  
وهجوما عنيفا • وهجاء قاسيا • واذا ذكر شعراء عصره فى  
مجال التجديد والجرأة والاندفاع نحو أهداف الحرية  
والتجديد ، لم نجد من يستطيع أن يسبقه أو يلحقه أو يقف  
فى صفه • • فقد كان شعراؤنا فى مصر وسوريا ولبنان والعراق  
- فى الاغلب - مجاملين يسيرون فى ركب الامراء محافظين  
متأدين يفتنون فى الوسط فى معترك التجديد والتقليد • •

ولا يمكن أن يكون شوقي أو حافظ أو مطران أو الكاظمي أو  
الرصافي قد طالب بحرية الكلمة أو اندفع في جراءة الزهاوي  
ليطالب بتحرير المرأة أو تنقية العقيدة أو تحطيم الأصنام أو  
الدعوة للقومية العربية أو مهاجمة الخلافة العثمانية أو الحكومة  
الفاسدة أو طغيان الأمراء أو استبداد الملوك أو إجرام  
المستعمرين .

ومع هذا فقد لقي جميل صدقي الزهاوي بعد موته نفس  
الهوان الذي لقيه في حياته فلم يذكره إلا القليلون ولم يكتب  
عنه بعض ما كتب عن شوقي أو الرصافي أو مطران .

وعندما أخذت أدرس حياته بحثت عنه في مطبوعات دور  
النشر الكبرى فلم أجد عنه في أبواب الاعلام دراسة ولا في باب  
الشعر ديوانا . . ولا في أبحاث الادب رسالة . . ولولا  
فصول منشورة كتبت في الهلال والكتاب والرسالة وفي مؤلفات  
الريحاني وروفايل بطي وشوقي ضيف ولويس شنجور  
وأليس المقدسي والزيات . . لكان من العسير أن يجد المؤرخ  
ما يضيء أمامه الطريق لحياة هذا الشاعر العملاق الذي كنا  
نصافح شعره سنوات ١٩٣٢ وما بعدها في الرسالة فنرى ذلك  
الوهج القوي اللافح في جرأته وحرارته وإيمانه . . وهو في  
ذلك الزمن لم يكن إلا في شيخوخته . . كان في السنوات  
الآخيرة من عمره المديد . . وقد هدته الأمراض . . ومع ذلك  
فقد كان حيا دافقا يملا النفس . . ويذكر بعظمة المتنبئ

والعربى مختلطة ومتزجة .. الأول فى كبريائه واعتداده والثانى  
فى شكوكه وتحرره ..

ولقد كان من الطبيعى أن يجرى اليوم الذى يشير الزهاوى  
ثورة جديدة فى الشعر العربى والفكر العربى وان بدت أهدافه  
وعانيه ورؤاه اليوم وقد تحققت الا انه ما يزال رمزا على معنى  
الجرأة والقوة والحياة الدافقة .. انه سيقطل منارا فى الفكر  
العربى يهدى الى غاية جديدة لم يكن يعرفها الشعر العربى من  
قبل وان يكن مطران قد جدد المصايفى فان الزهاوى قد جدد  
المعانى وأعطى الشعر معناه الحق فى الكلمة الخالدة « ديوان  
العرب »

## عصر الزهاوى

عاش الزهاوى سبعين عاما من عمر العراق والامة العربية فى فترة من أخطر فترات هذا الشرق .. هى مرحلة التوثب والصراع والانتقال من استبداد تركيها العثمانية الى ظلم الاستعمار البريطانى .. عاش هذه الفترة الضخمة يقظ القلب حتى الوجدان .. متأثرا بالاحداث .. مسجلا لها .. ولم يقف عند هذا شأن الشعراء .. ولكنه كان صادقا يدعو قومه الى كل جديد ، لا يمل الحدا ولا النداء ولا الدعوة مهما أغضب الناس ومهما أغضبه الناس .. انه ذلك الداعى العنيد الذى يتلقف كل جديد من الرأى فينقله شعرا ويدعو اليه العراق والعرب .

وقد شب الزهاوى عن الطوق ابان الاحتلال البريطانى لمصر وهزيمة عرابى .. فى نفس الوقت الذى كان العراق يرزح تحت سلطان طاغ هو سلطان العثمانيين ، الذين يكرهون العرب ويسوءون جزءا كبيرا من الامة العربية استبدادا مرهقا عاصفا . وكان عبد الحميد اذ ذاك يقبض بحفنة من الجواسيس على رقاب العباد ويحصى عليهم أنفاسهم .

وسرعان ما خلف الزهاوى مدائح للسلطان ، عندما بدت معالم دعوة أحرار تركيا الى مقاومة استبداد عبد الحميد ،

وراح يمشره وأبلا من شعره أنير دغيا إلى السحور ٠٠ ثم  
 تصور الفريخ زاحس السسور عمامي فتنصر رجا نريه  
 الغاة وهما نرى الزهاوى في فندمه مر لب فرحا بمبها ٠٠  
 تحب للحرية وتحب للعراق ومطعم التي فجر جديد في حياة الأمة  
 عربية ثم لا تلبث الدعوة إلى توحيد العربيه ن تعلن حتى يمدد  
 فيها ويهاجم أحمد جمال السراج الواسي ثم إلى سوريا بعد  
 أن علق على أشتاق الأبرار شهيد ٠ من صغره السعيد الأول  
 للدعوة إلى انفصال العرب عن الترك ومقاومة الحملة العرصة  
 لتترك العرب باسم الجامعة الطورية ٠

فإذا بدأ العراق يدخل في عهد جديد بعد نوره داميه نرى  
 الزهاوى يدعو إلى السسور والبرلمان والسوري وحريه  
 الصحافة والاستقلال وتحرير المرأة ٠٠ وينضم موكب الدعوة  
 إلى الإصلاح الاجتماعي ويشارك فيه بشاركه فعالة ٠

وهو في هذه المرحلة الطويلة يهتد بالشعر قويا حيا ذاخرا  
 بالانفاضة ، فيه صورة ذلك القلب الذي يتحرق إلى حرية  
 قومه من أصر الاستبداد والامستعمار والخرافات والافهام  
 والجمود ٠

وهو طوال هذا الزمن يساهج عن دعوة الحرية والتجديد في  
 قوة ٠٠ ويكرر ما يقول أحيانا ٠٠ ويندفع في حماسة بالغة ٠٠  
 وقد يخطئ ٠٠ ولكنه لا يتوقف أبدا ولا يصمت  
 أبدا ٠

وقد يكون شعره نظما ٠٠ وقد يكون أقل جودة من شعره  
 عصره ولكنه يتفوق عليهم جميعا في أنه يحمل مضمولة معاني

قوية .. وآراء جديدة .. وحركة دائبة .. وانه يدعو  
 ولا يبتلى الدعاء الى المحسورية .. ويصرخ ولا يبلى الصراخ  
 هذا عن الجديد ... وينادى ولا يتوقف عن المنسداد  
 باسم العراق الحبيب الى نفسه ونفوس العرب جميعا . وقد  
 عاشى هذا الزمن كله طوال أيامه عابسا متشائما شاكيا  
 سماخا مسرفا فى العبوس والتشاؤم .. غير متوقف عن  
 الشكوى والسخط ذلك ان نفسه الكبيرة وحبه للعراق وايمانه  
 بالحرية وتطلعه الى فجر مشرق يرى فيه العرب وقد أصبحوا  
 فى مقدمة الركب . كل هذا كان يشعره بأن التطور بطيء وان  
 التقدم وأن .. وان ما يتطلع اليه من أمل ما يزال بعيدا . أضف  
 الى هذا أنه كان يحس بعد أن ارتفع به السن انه لم ينصف  
 فى قومه ولم يكرم فى وطنه .. ولم يأخذ مكانه الحق .. وان  
 حملات النقد العاصف وكلمات الهجاء المرير كانت تنتاشه من  
 هنا أو من هناك . ونسى انه لم يكن شاعرا يغرد فيجتمع حوله  
 الناس ليصفقون له ، وانما كان داعية يحطم قديما باليسا ..  
 ويمزق تقاليدا تعارف عليها الناس بالحق أو بالباطل طويلا .  
 وانه كان يدعو الى جديد تنظر الجماهير اليه فى خوف وقلق  
 واشفاق ، وان من شأن من يتصدى لهذا أن لا يجد من عامة أهل  
 بيته الا المعارضة والخصومة .. وقد كان يستطيع أن يدع  
 هذا وأن يعيش مادحا ومغردا وسائرا فى كل ركب ، عندئذ  
 كان يجد من عامة الناس الرضى والاعجاب والتصفيق ، أما وقد  
 اختار لنفسه الدهوة الى الحرية والخلاص من أسر التقليد ..



واغلال القديم .. وفيود الجمود .. فلم يكن من المستوقع أبدا  
أن يواجهه إلا بمثل ما ووجه به على أن الزهاوى يقر الآن في  
فجره راضيا حين يرى أن دعوته دفعت العرب جميعا إلى الفجر  
الصادق .. فبدأت علامات الحرية الحقة ترسم في الأفق ..  
والأوطان تخلص من المستعمر ، والمجتمع يتقدم ، والمرأة تأخذ  
حقها في العلم والسفور والعمل فتشارك في كبريات الأعمال  
وتدخل البرلمان وإن علامات الجمود والتقليد والبسود في  
محيط الدين قد تراجعت وحل محلها اجتهاد وتحرر وعودة إلى  
المنابع الصافية للعقيدة .

وليس شك أن صيحة الزهاوى وثورته المتصلة ودعوته  
التي امتدت خلال حياته أكثر من أربعين عاما كان لها أثرها في  
التطور .. ومكانها في تاريخ حركات البعث والتحرر .

## مطلع الشمس — باب

ولد الزهاوى (١) فى يوم الاربعاء ١٨ من شهر يونيو  
(حزيران) عام ١٨٦٣ فى بغداد وكان والده محمد فيضى  
الزهاوى مفتى العراف ٠٠ وأخوه فقيه من فقهاؤها ٠٠ ويرجع  
نسبه الى أمراء السلطانية الذين يرجعون الى خالد بن الوليد  
وترجع شهرته بالزهاوى الى أن جده هاجر الى «زهاو» من  
أعمال ايران فأقام فيها ٠ وتزوج منها بسيدة زهاوية ٠

أما أم المترجم له فسيدة من أسرة عريقة فى المجد غير

انها كانت عصبية المزاج ولا تدعى لرأى أحد (٢)

ومن هنا تنكشف لنا حقيقتان : الاولى انه نشأ فى محيط  
الفقه والدين وكان والده وأخوه يربذانه صاحب فقه وقضاء ٠  
فاندفع خارج هذا المحيط بل لم يلبث أن هاجم هذا المحيط  
بشورة على الفقهاء ورجال الدين وهذا اتجاه طبيعى بالنسبة  
للزهاوى العنيد من ناحية وبالنسبة لرغبته فى التبريز عن

١ — زهاوى زاده جميلى صمدى افندى كما ورد اسمه فى

الكتب القديمة

٢ — من رسائل الزهاوى الى أحمد محمد عبيش ٠ ملحق

السياسة الاسموعية ٧ يناير ١٩٣٢ .

طريق مخالف لطريق أبيه وأخيه والآخرى .. ان أمه كانت  
عصبية المزاج ولا تدعن لرى أحد . وقد ورت الزهاوى منها  
هذا الطبع وعرف به .

يقول الزيات : ان أمه يريدونه صاحب قصص ، ووقعه ،  
ولكن عناده دفعه أن يديم السمر فى الآداب .. ثم بدا ينظم  
النسر فكان صاحب دعوه وفلسفه وان الاستعداد الموهوب فى  
النظم وهو منسبته الحق فى حقى . جعل من الزهاوى  
أبا العلاء وقد كن هذه يريدونه ب حنيعة .

ويرد بعض المؤرخين جراه الزهاوى لى عرف اعم والخال  
من الكردية .

وقد تعلم الزهاوى تعليما ديب .. عند ذهب الى الكتاب  
فى سن الخامسة ومكث فيه لبضع سنوت بليدا لا يتقدم  
ولا يهتم بغير اللعب ونظم الاشطر الفارغة من المعنى .

وكان كثير الحركة محبا للعب أكثر من اخوته وأترابه ..  
متمردا لا يدعن لراى .. يقول الزهاوى فى رسالته (١) : كنت  
فى صباى أدعى بالجنون لحر كنى غير المألوفه .. وفى شبابه  
بالبائس لى وايقالى فى اسنو . وفى كنى بالجرىء  
لمقاومى للاستبداد . وفى شمسوخسى بزنديق لجرىء  
بارائى الحرة الفلسفية .

وقد تعلم كثيرا من علوم الأربى فلم يشبع عنه . واستطاع  
أن يقرأ كثيرا مما ترجم الى العربية على أساتذة مختصين .  
(١) رسائل الزهاوى . مجله الكاتب المصرى يناير ١٩٤٧

ثم قرأ عن الفارسية والتركية بعد أن أجادهما ومعنى هذا أن علامات النورة ولدت مع جميل وأن روح التمرد وعدم الادعاء لأحد . . . كنت من أول ملامح صباه وقد طلعت عنه العواجل تتدخل في نفسه طوال حياته .

ولعل أمرا آخر كان له أثره في تكوين طبيعته الزهاوى وشخصيته : يقول الزهاوى (١) كنت رائدسى نعيش مع أولادها في بيت منعزل عن بيت والدى فنزعتنى والدى من أحضانها دون اخوتي واخوانى . . وأخذ على عاتقه تربيتى تربية خاصة متبعا هراه . وكان من هواه الأدب . . وكان شاعرا في الفارسية والعربية معا غير أنه مقل فيهما .

ولعل هذا الحادث له أثره في نفسه الزهاوى . . من انزاعه من أنه دون اخوته لا بد أن ترك في نفسه احساسا بالانام والضيق أضيف لى عواءل نفسه فزاده بورة وفلعا واضطراب ثم ابتلى جميل في الخامسة والعشرين من عمره بداء النخاع الشوكى الذى لازمه بقيه حياته ولم يلبث بعد ذلك أن أصيب بالشلل فى رجله .

ويقول أحمد محمد عيسى (٢) ان جميل حفظ جزء «عم» بعد ثلاث سنوات . . ثم قرأ جميع أجزاء القرآن وحفظ منها ما استطاع وفتح ذهنه شيئا فشيئا . . وقرأ على بعض العلماء مبادئ الصرف والنحو والمنطق . . وقليلًا من البلاغة . . ولما

(١) رسائل الزهاوى . مجلة الكتب المصرى يناير ١٩٤٧

(٢) السياسة الأسبوعية - ٧ يناير ١٩٣٢

وأهم لا يسبعون جثثه .. ولا يروون عنته .. ولا يملعونه  
بأجوبتهم على أسئلته العويصة عن الألوهية وما شاكلها رجع  
إلى أبيه غضبان أسفا .. قائلا له :

هؤلاء شيوخ جامدون

قال والده : ويل لك يبنى أنت ومن على شـساكتك من  
الشيوخ الجامدين ..

وهذه هي أول معالم الثورة .. ولابد أن ذلك كان في سن  
العشرين أى عام (١٨٨٣) وهذا التاريخ عندما بدأ حياة  
الزهاوى الأدبية وعلامة الطريق الطويل الشاق الذى قطعه  
محملا بورانياته وعوامل بيئته .

ولقد كان والده ينسحق عليه من توره ونزعته الجريئة إلى  
التمرد . ويروى أنه استدعى ابنه إليه فى ليلة من ليالى  
الشتاء الباردة .. كان قد أهله عبادة جميلة .. وقال :

- ألبس .. يا جميل عباءتك فأنى أخاف عليك البرد

ورد جميل على طريقته المتمردة الجريئة :

- يا أبى انى لأبس الغرفة فمن أين يتسرب البرد إلى .

وصمت والده ولم يزد على أن نظر إليه فرأى بريق الذكاء  
الحاد ينفذ من عينيه الواسعتين وقد رفع رأسه الكبير فى  
زهو وثقة ..

وقد قسم جميل شبابه بين اللعب والقراءة .. كان يلعب  
بالكعاب ثم بالحمام القلاب فيطيره أسرابا فى الهواء . كما  
أولع بركوب الخيل فكان يسابق ويسبق كما أحب لعبة الداما

وقد أُلّف في هذه الألعاب رسائل نشرها في المقتطف  
والهلال .

ومن ناحية أخرى أكتب على قراءة المتنبي وتفسير البيضاوي  
وغيرها من المؤلفات الضخمة التي كانت تحفل بها مكتبة أبيه  
وقال الزهاوي في بعض كتاباته (١) طالعت في شبابي  
مؤلفات الدكتور فاندريك المطبوعة في بيروت وكتابي أصول  
التشريع والفسيولوجيا لورتيبات . وبضعة مجلدات من المقتطف  
كانت قد نشرت يومئذ فحصل لي بسبب هذه الكتب الاطلاع  
على أساسات العلوم العصرية ، ثم توسعت في هذه العلوم في  
كهولتي بمطالعة كتب مترجمة الى التركية . وأكثرت من قراءة  
الروايات يومئذ من الفرنسية الى التركية . . فحصلت على  
شيء قليل من العلم بمبادئ المجتمع الغربي وأفكاره منها  
البؤساء لهوجو في مجلدين ضخمين . ولم استغن حتى اليوم  
عن مطالعة الكتب المترجمة الى العربية أو التركية .

---

(١) الكتب التي أفادتني مجلة الهلال - ١٩٢٧

## حياته

من الاعلام من تكون حياته خطأ واحداً مسنغياً لا أحداث فيه ولا تقلبات ومنهم من تضطرم حياته بالأحداث صاعدة هابطة • دافعة مندفعة • هادئة لا تتوقف ولا تسكن • ومن هؤلاء جميل صدقي الزهاوى فقد كانت حياته الطويلة حافلة متحركة وهى الى ذلك خصبة غنية فيها الجديد دائماً وفيها الصراع والارتطام والاختصاص لا يتوقف ولا يهدأ ولا يئس والزهاوى منذ اليوم الاول حتى اليوم الاخير هو : الناصر المتمرّد الجريء الذى يعارك ويخلق ميادين المعركة ويواجه الناس بالجديد والغريب مما يغيظ ويبير • قلمه هو متنفس حياته • ونافذة روحه • •

ولقد ذهب الزهاوى شمالاً وغرباً وشرقاً • وعمل فى أكثر من عمل • وهو بطبيعته القلق لا يقر ولا يتوقف • وانما يتحرك ويتحرك دائماً • عينته الحكومة التركية فى أول شبابه عضواً فى مجلس المعارف ببغداد ثم مديراً لطبعة الولاية ومحرراً للمقسم العربى من الجريدة الرسمية «الزوراء» ثم عضواً فى محكمة الاستئناف ثم عين عضواً فى مجلس المبعوثان عن بغداد ولما أعلن الدستور عين أسباًذاً للفلسفة فى المكتب الملكى بالاستانة ثم معوساً للاداب العربية فى دار الفنون ثم عاد الى

بغداد فعين أستاذاً للتشريعة في كلية الحقوق ثم نائباً في مجلس الشيوخ العراقي .

وفي خلال ذلك سافر إلى مصر وسوريا وذهب إلى اليمن بإرادة سلطانية « واعظاً عاماً » وعضواً في الجمعية الإصلاحية وبقي فيها تسعة أشهر .

وهاجر إلى سوريا ومصر . وأقام بالشام وبيروت فترة ثم عاد إلى العراق

هذه ملامح الصورة العامة لحياته العملية ولكنها تحوى أغواراً بعيدة المدى فإنه لم ينس خلال حياته هذه شعره ولا أدبه كان ينشر في المجلات والصحف في مصر وبيروت والشام وبغداد مقالات كثيرة وقصائد نائرة أيام الاستبداد الحميدى بامضاء مستعارة .

وعندما سافر إلى استانبول اجتمع بالأتراك الأحرار وجهر بالسخط على نظام الحكم القسائم إذ ذاك . ونظم عدداً من القصائد نشرت في المؤيد . وعاش تتعقبه الجواسيس . وكانت النهاية أن سجن وحمل مقيداً إلى بغداد .

يقول الزيات (١) : رأى في الاستانة عبد الحميد يلقي الأحرار مغلولين في غيابة السجن أو في قاع البحر فأرسل إليه مع أبى الهدى قصيدة قال فيها :



أيأمر ظل الله في أرضه  
 بما نهى الله عنه والرسول المبجل  
 فيفقر ذا مال وينفى مبرأ  
 ويسجن مظلوما ويسبى ويقتل  
 تمهل قليلا لا تفظ أمة اذا  
 تحرك فيها الفيض لا يتمهل  
 وأيديك ان طالت فلا تغتر بها  
 فان يد الايام منهن أطول  
 فحبسه حيناً ثم نفاه . .

وسمع وهو عضو في مجلس المبعوثان عن بغداد مقرر  
 الميزانية يذكر في وزارة الحربية مبلغاً جسيماً من المال جعلوه  
 لقراءة البخاري في الاسطول فقال : انا أفهم أن يكون هذا  
 المبلغ من وزارة الاوقاف . . أما الحربية فالمفهوم أن الاسطول  
 يمشى بالبخار لا بالبخاري . فثار عليه المجلس وشغب عليه  
 العامة .

ولا دعاه الخليفة الى الاستانة ، أقض مضاجع الجاسوسية  
 فانتهى أمره وساء مقامه .

ويروي الزهاوي في إحدى رسائله الى أحمد محمد عيسى  
 أخرج ساعات حياته يقول : ان أخرج ساعاتي هو يوم هاج  
 الشعب العراقي على عام ١٩١٠ لمقالة شديدة نشرتها في  
 « المؤيد » في الدفاع عن المرأة حتى اني قبعتم في داري أسبوعاً  
 ولم أخرج منها خوف اغتيال الشعب المارد لي . وعزلني يومئذ  
 والى بغداد ناظم باشا من وظيفتي في مدرسة الحقوق ببغداد

وفد بزواج الزهاوى فى سن الثلاثين بالانسة زكية هانم وعمرها يومئذ ١٦ سنة وهى من بيت تركى شريف ولم يولد لهما ولد وخدسه نى شيتوخسى بخلاص وأمانه (١) .

وقد عاش الزهاوى (٢) بالرغم من الامراض والشلل والنوبات العصبية ، ظل الى ما قبل وفاته بيوم واحد وقاد الذهن قوى الذاكرة . وكان يحب المرح والاطراء ويضيق بالنقد ذرعا .

ويصف الزيات الزهاوى . وعند عاش معه فى العراق أعوام ٣٠ و ٣١ و ١٩٢٢ وكان صديقه الوفى . « لم تكذ تلوح فى مخيلتى صورة الشاعر النى صورها السماع والغراء حتى رأيت على باب البهو شيخا فى حدود الثمانين قد انخرع مقننه وثقلت رجله ورعشت يده فهو لا يحمل بعضه بعضا الا بجهد والزهاوى ديدنه ان يكلم كئيبين حصه ان يغرد . . فهو فى مجلس الصدفة سدى أو سكر . وفى مجلس الادب محاضر أو شاعر وفى مجلس الانس مفدكه أو محدث » .

كما صور الزيات منتداه بشارع الرشيد أو على ضفة دجلة وهو جالس على الدكة الخشبية ينشد الابيات الرائعة أو يرسل النكتة الباردة أو يروى الخبر الطريف فى بساطة جذابة وتهففة ساذجة . . وبذه المرتفعة لا تنفك تعبت بسبحته الصغيرة أو تصعد وتهبط سيمكره المراقية .

(١) رساقل الزهاوى : الكتب المصرى . يناير ١٩٤٧

(٢) سليم طه التكرينى . مجلة الكتاب . يونيه ١٩٤٩

كما وصف معمر في (الصابونية) وكيف كان يحدثه أنه  
فضى الليل مع همراة شراً .. زواجهما خطم .. القصص والمجالات  
منتشرة على سريرته وعلى مقعده .. المسودات مدسوسة تحت  
مخداته أو في ثيابه ..

بقول للزيات : أنظر كيف ادب عمري في شعري .. والامه  
تدفني بالبهتان .. واحكومه تخرجني من مجلس لاعبان ..  
والملك يستنكر على أن اكون ساعر لبلاط ..

.. لم لا ينبغي أن يقول : سادس وسبعين شعري شعري ..  
عن شعوري لطقه بآلامى فهي دموع ذرفت على الطرس وهي  
خليقة أن تبعث من عبون قارئى دعة هي كن جزائى عن نظمها

## شعره

اشتغل الزهاوى بالنثر والشعر ولكنه برز فى الشعر وعرف به وأطلق عليه لقب (الشاعر الفيلسوف) وقد بدأ حياته كاتبا ولكنه تفرغ للشعر بعد قليل واقتصر عليه . وان كانت محاولاته الاولى فى الشعر بدأت باكرة وساذجة . . يقول الزيات : لم يعرف الشعر الا بعد أن علت به السن . ويقول فى رسائله الى محمد أحمد عبش (١) : ان والده كان شاعرا فى الفارسية والعربية معا وان كان مقلا فيهما . . ومن شعره فى العربية قوله :

لا تدع فى حاجة بازا ولا أسسدا

الله ربك لا تشرك به أحدا

يريد بالباز عبد القادر الجيل . وبالاسد عليا بن أبى طالب كما كان يلقبهما به الجمهور فى العراق . ويقول : وأتذكر أنه - أى والده - كان فى طفولتى يعدنى بدرهم اذا نظمت شطرا واحدا من الشعر موزونا . وان لم يكن له معنى . وقد كسبت الجائزة مرارا فكان فى ذلك جزل

---

(١) ٧ يناير ١٩٣٢ - السياسة الاسبوعية

والدى • اما جذلى اما فكدن فى العسوى التى كنت شمرىها  
بذلك الدرهم •

ومد ناول الزهاوى فى شعره السيسه والاجتماع والفسزل  
ولعلم والفلسفه •

أصدر عدة دواوين : الكلم المنظوم بيروت ١٩٠٨ • ديوان  
الزهاوى : القاهرة ١٩٢٤ ، رباعيات الزهاوى : بيروت ١٩٣٣  
اللباب : بغداد ١٩٢٨ ، الاوشل : بغداد ١٩٣٤ ، الشماله :  
بغداد ١٩٣٩ ، ترجمه رباعيات الخيام من الفارسيه بغداد ١٩٢٨  
وله ديوان نزعات الشيطان مجموعته من القصائد • تنشر  
بعد فى المجلات ولجرائد •

يقول الزهاوى : وسوف تنشر بعد موسى لانها مضمدم آراء  
المتعصبين وتثيرهم على اثاره لا أحمد عقباها •

وقصيدة : ثورة فى الجحيم •• وعدد أبياتها ٤٣٣ بيتا  
ونشرت فى مجلة الدهور فى العام الماضى •• وكانت تصدر فى  
بيروت • يقول الزهاوى (١) وقد قامت حولها ضجة كبيرة •  
وقد سبني بسببها بعض المتعصبين على المنابر فى خطبة  
الجمعة • ونفنت بعد قليل من الزمن نسخها •

يقول الزيات : نظم فى أعقاب عمره قصيدة « ثورة فى  
الجحيم » فلما كلمه الملك فيصل بشأنها قال : عجزت عن  
اضرام الثورة فى الارض فأضرمتها فى السماء •

وقال الزهاوى فى رسائله : أن أكثر شعرى الذى نظمته

(١) رسائل الزهاوى ديسمبر ١٩٤٦ الكاتب المصرى

قبل الدستور العثماني نشر في ديوانى الاول الكلم المنظوم (١)  
 كما كتب عليه هذه العبارة « نظمه ونشر أكثرها ابانها بامضاء  
 رمزى فى أشهر جرائد مصر يوم كان الاستبداد شديدا » .  
 وقد أوضح الزهاوى منهاجه الشعرى فى مقدمة ديوان  
 الزهاوى الذى صدر فى القاهرة عام ١٩٢٤ : قال فى مقتطفات  
 من هذه المقدمة :

الشعر ما ينظمه الشاعر من احساس يجيش فى نفسه  
 باوزان موسيقية فيهب به المسامع . . ولا أرى للشعر قواعد  
 بل هو فوق القواعد . . ولا يتقيد بالسلاسل والاعلال . .  
 وهو أسبه بالاحياء فى اتباعه سنة النشوء والارتقاء . . يتجدد  
 بحسب الزمان ويرتقى من الادنى الى الاعلى . . وانزخ أن  
 امشى بشعرى فى سبيل الحياه الطبيعىه متجيبا المبالغات  
 وما اخلق الشاعر بأن يخرق التقاليد التى ورثها الابناء عن  
 الاباء فيقول ما يشعر به . . ولا ينسج به ابأوه .

وما زلت فى جو من الفكر طائرا

ومن عدتى أن لا أطيّر مع السرب

ولا أرى مانعا من تغيير انصافيه بعد كل بضعة ابیات من  
 القصيدة . . عند الانتقال من فصل الى آخر . . كما فعلت

(١) طبع فى المطبعة الاعليه ببيروت وآخر قصائده مؤرخه

بغداد فى ٧ أغسطس ١٩٣٢ هـ

فى عدة قصائد ، لا دمعاً من السماع من سماع ثافية الواحدة  
فى كل بيت . . بل اراحة للشاعر من كد الذهن لوجدانها .  
واجيز للشاعر أن ينظم على أى وزن شاء سوء كان من أوزان  
الخنيل أو من غيرها . و شاعر البحر سجاع لا يهب فى الصدق  
لومة اللائمين ، الا اذا أحس بالمهلكة فعندئذ يسكت أو يكذب .  
ونزاع الى التجديد . ينور على النظام . ويتمرد على السنتان  
الكاذب . . يريد كل يوم أن يمزق عن العادات . ويمزق  
أطرافها البلية كالقراصة التى نخلع - ترفضها لبرز فى نوب  
أجمل محبر بألوان السماء .

٢ - الجديد . . الجديد . . هو أحسن ما تنزع اليه النفس  
الوثابة ولو لم يتجدد الليل والنهار لملهما النظر .  
سممت كل قديم عرفته فى حياتى

ان كان عندك شيء من الجديد فهات

ولا أريد بالتجدد أن يقلد الشاعر العربى شعراء الغرب فى  
شعورهم . . فان لكل أمة شعورا خاصا بها لا تحس به أمة  
أخرى .

لا أقول أن يحمده الشاعر العربى على ما هو عليه الشعر  
اليوم . . بل الاحجى أن يترقى شعر كل أمة فى سبيله  
ولا يسوغ للشاعر العربى مخالفة قواعد اللغة . وللشاعر  
الفحل أن يولد فى اللغة اذا مست الحاجة كلمات لم يات بها  
من جاء قبله .

٣ - وجدت الذين مارسون الادب ثلاثة

الاكثر عددا من لا يستحسن من الشعر الا ما ألفه من

من القديم وانتقل اليه بالوراثة من العصور الماضية ..  
والشعراء المسايرون للجمهور ينالون حظوة منهم

♦ المتشرب منه من الادب الغربى لا ينزع الى الشعر العربى  
الا على نسق مايقول شعراء الغرب . ومثل هذا قد خرج من  
فسيحة قومه واندمج فى غيرهم .

♦ قليل يسير مع رقى العلم جنباً الى جنب . ويستحب  
لشعر خلوا من المبالغات منطبقاً على الطبيعة مع المحافظة على  
لشعور العربى الذى هو قوام شخصيته . والاخلق الا ينتظر  
نذى له نزعة التجدد أن يكبر شعره الجمهور من جيله الا اذا  
ان الجمهور منحطاً قد تعود القديم .. والمشاعر الذى يساير  
معور الناس فيما ينظم ينال اقبالهم على شعره مادام الشعب  
يامدا . أما اذا تقدم الشعب ، فان شعره يموت ويأخذ مكانه  
شاعر الذى يتجدد مع جيله ١٠٠ هـ

وقوام رأى الزهاوى أن هدف الشعر عنده هو التجديد ..  
نفع المشاعر الى الحرية الفكرية والاصلاح . وحمل الجماهير  
الانتقال من الجمود الى الحياة .

وقد كان الزهاوى شاعراً له هدف ورسالة وغاية يحصل  
عمدة البحث فى حدود قوله : تمزيق العادات البالية دون أن  
تشم غضب الجماهير أو هجائهم .. بل انه يرى أن الجمهور  
يكس الشعراء المجدد الا بعد أن يموت ويأخذ مكانه بين الشعراء  
ل : (١) غنمت لائلاء ، بطم لائلاء لائلاء .. اعظمهم .. فلما

(٢٦) مقدمة ديوان الزهاوى ١٩٢٤



صحوا عيودهم شمعوني ، ثم عييت وحدوا يظفرون انى شذرا  
ثم حيت دبسجوا سى ثم حموا وبغى فيهم من يسلم . وحيت  
وساعنى انى ان يسكننى الموت ، وسوف يبنى للماسى معبره عن  
شعورى وما تابدته فى حياتى من شفاء واصطهاد ، فهى دموع  
درسها يرعنى على الصرس رصنه بلامى . . . وهى حقيقه بان  
ندرف من عيون دارنھا دمعہ ہى دن جزانى من نصھا .

ويرى الزهاوى ان ساعر الاجيال لا يموت شعره لانه يبنيه  
على الحقائق الخلدة . . وهو فى الغالب يسبق جيله . ولا اراه  
مستقيما من المستقبل الذى يجمع اھله على اكباره لانه يكون  
يومئذ تحت اطباق النرى بينما لا يسمع هتاف انھاتفين له . .  
والزهاوى فى هذه العبارة يعنى نفسه . ويرى انه قد سبق  
جيله وانه لم يلق الجزاء من اھل زمنه . ولم يستهدف لزهاوى  
من شعره كسب او نفاقا قال :

شعري ما أردت أن أكسب به مالا . . أو اتزلف على احد .  
فما رئيت الا من كان صديقى . ولا حمدت لا من ظننت فيه  
خيرا للبلاد . وربما خاب ظنى فى بعضهم فكففت .

ولكن هذا لا يمنعنا من القول بأن الزهاوى جرى مجرى  
القدماء فى المدح والرثاء والهجاء . وهو فى هذا مجدد بالمعانى .  
مقلد بأساليب القدماء وأبواب القول عندهم .

ويصور الزيات الزهاوى الشاعر فى قوله : كان فكره أقوى  
من خياله وأسمى من عاطفته وهو من شعراء الفكرة له البصيرة  
النافذة . وليس له الاذن التى (تموسق) الموسيقى . . ولا  
القربحة التى تصنع . . فاللفظ قد لا يختار . . والوزن قد

لا ينسق والاسلوب قد لا ينسجم ، ولكن الفكرة لحيه لجريته  
تتج بين الابواب المتخادلة عجيج الامواج المزيدة بين الشواطي  
المنهاره .. ويرى الزيات أن الزهاوى عقلية أفاده وسيبـر  
دفاعه وطبيعة ساخرة .. وهذا التوتب الحماسى هو الذى جعله  
يؤثر النظم فى تقييد خواطره .. وهذه الحماسة قد سب  
أحيانا عن الفكرة لكلالها أو ابتذالها .. فيذهب انشاعه  
ولا يبقى الفيلسوف .

ويقول الزهاوى فى بعض رسائله أن شاعريته بدأت وتدرج  
فى سن الخامسة عشرة .. ومن أوائل شعره :

أما آن أن نأبى على الوطن العارا

فتركب أخطارا ونقض أوطارا

وقد ترجم الزهاوى شعرا عن توماس هاردى ونشره فى

..

الهلal عام ١٩٢٩

وتعد قصيدة « تورة فى الجحيم » من أهم شعر الزهاوى  
فهى مؤلفة من ٤٣٣ بيتا فى قافية واحدة نشرها عام ١٩٢٩  
فأحدثت ضجة وقد سائر فيها (رسالة الغفران) وتأثر بها تأثرا  
واضحاً فى الفكرة والمشاهد . كما تأثر بدانتى فى الكوميديا  
الالهية . وأخذ من (هوجو) العبارات التى ساقها على السنة  
الملاك الذى اتخذ رمز البومة .. وخلاصة ملحمته أن الشاعر  
يصوت ويودع فى القبر فيظهر منكر ونكير ، كما الحساب ..  
فيجرب بينه وبينهما حوار حول العقيدة والحياة والدين  
والإيمان وتفاصيل العبادات والفروض الدينية . وقد عرض  
لهذا كله فى سخرية وتهكم شديدين .

وهو يؤمن بنفسه كشمس ومجدد وان لم يكن زعيما :  
نسى منذ كنت أشدو بشعرى  
كان يوحى الى بلنجد--ديد  
أنا لا أدعى الزعامة فيه  
غير أنى أبت فيه وج--ودى  
حبذا الليلى والنهار بعينى  
اننى مغرم بكل جديد  
وجديد العريض قرب معانيه  
وبعد له عن المعقيد  
ولقد أحب الزهاوى وقال شعرا عاطفا رائعا :  
نظرت اليها وهى بيضاء نبيح  
تجد به ماء الصدى بـووح  
مست وهى فى المني خلفها  
يقبل آثار الخطى حث تنهج  
لها وهى أدرى العالمين بحالتي  
هوى فى فؤادى ناره تنـج  
أريد اذا قابلتها لانيها  
غرامي بها لكننى أتلهـج  
تمنيت باسلمي وهلا ينفع المنى  
لو أن حياتي فى أحـاتك تـزج

## الزهاوى المجدد

أجمع مؤرخو الزهاوى على أنه شاعر مجدّد وأنه جدّد فى أربعة أمور :

♦ مكافحة العادات والتقاليد البالية والدعوة الى التحرر والتجدد والاصلاح الاجتماعى .

♦ مناصرة المرأة والدفاع عن حقوقها

♦ ادخال النظريات العلمية ، والافكار الفلسفة المستحدثة فى الشعر .

♦ التحرر من قيود اللغة واستعمال المصطلحات العلمية ومزاولة الشعر المرسل

وقد ثار الزهاوى على القديم جملة .. فى الفكر والسياسة والاجتماع .. وثار على الحكام المستبدين والطغاة الظالمين . ونقد سلاطين آل عثمان وولاتهم مما أدى الى سجنه ونفيه ومحاربته فى رزقه .

قال فى السلطان عبد الحميد الثانى وقد نفي بسببها من

الاستانة عام ١٨٩٧

لقد عبثت بالشعب أطماع ظالم  
 يجعله من جورته ما يحسب  
 فيا ويح قوم فوضوا أمر أنفسهم  
 الى ملك عن فعله ليس يسأل  
 الى ذى اختيار فى الحكومه مطلق  
 اذا شاء لم يفعل وان شاء يفعل

وما أعتقد أن شاعرا فى الشرق العربى فى هذه الفترة قاوم  
 السلطان هذه المقاومة أو عارض الحاكم الظالم على هذا النحو  
 وقد كان الزهاوى حفيا بنظريات الكون والوجود والجاذبية  
 والنسبية والتطور والفلك والكهرباء . وضرب فيها بسهم وافر  
 من منظومه ومنشوره .

وقد درس الزهاوى نظريات داروين فى التطور ونيوتن  
 فى الجاذبية والنشئين فى النسبية وضمن شعره هذه الآراء .  
 وهو أول شعراء العرب الذين عنوا بهذه الموضوعات . بل هو  
 أول من أدخل المصطلحات الحديثة فى الشعر العربى فترددت  
 فى أبياته كلمات الانير والاكثرون والبروتون والكهرباء .  
 وكان ذلك منذ أكثر من خمسين عاما .

وقد قال ناقدوه انه ما أن يقرأ حكمة أو نظرية أو رأى  
 مستحدث حتى يعمد الى قلعه فيدخله فى شعره . وقالوا  
 ايضا انه ليس للزهاوى رأى جديد فى كل ما قاله من شعره .  
 وانما كان ترديدا لما كان يقال فى صحف مصر من أحاديث  
 سلامة موسى وطه حسين وهيكى وغيرهم من المجددين .

ويعصف الزيات تهالك الزهاوى على التجديد على أنه خوف  
عاصف من الاتهام بالجمود . كان الزهاوى كشوقى (١) حريص  
على متابعة العصر ومسايرة التطور . ومنسأ هذا الحرص فيهما  
طبع من يطلب التجدد . . وحس مرهف بانف التخلف . .  
ويزيد الزهاوى أن الفجر يزعمه وأن التيه يذهب به . . فيحب  
الثناء ويبغض النقد . وهو لفرقه من صفه القدم يسبق الكتاب  
الى التجديد . ولنفوره من معرفة الجمود يذهب بالرأى الى التطرف  
ونظمه فى نباهة الذكر يجرى عول الخاصة . . ويعارض  
هوى العامة . . ومن تم كان أكثر شعره تشنيعا على الاستبداد  
بمهاجمة أهل الحكم . . وزراية على الجمود بمحاربة أهل الدين  
وتحقيرا للتأخر بمصادمة مألوف الامه .

ولعلنا نضيف الى هذا أن الزهاوى قد جدد الشعر بادخال  
عنصر الفلسفة اليه حتى وصف بأن الفكرة الفلسفية هي المادة  
الاصيلة فى شعره .

ويعزو بعض مؤرخيه نزعة التجديد فيه والدعوة الى  
الحرية (٢) الى ما تذوقه من نسمات الحرية فى الفترة التى  
أمضاها فى الاسنة . . حيث عاش فى جو ترك الفتنة  
والدعوة الى الدستور وجهاد مدحت باشا فى سبيله . . ولما  
تتلقفه من نسمات الحرية عن طريق الصحافة العربية فى المهجر  
ومصر ولبنان .

(١) مجلد الرسالة ١٩٣٧

(٢) سليم طه التكرينى : الكتاب يونيه ١٩٤٩

ولقد كان الزهراوي (١) يحب سمعه ويعتبر به رايه رفيقه  
وخليله ويرى فيه عزاءه عند الملل والمسيلة عندما تعذره  
الهموم .

يا شعر انتك انت صوب صميري  
بيديك حربي درد و سروري  
يا شعر انت بكائي يوم كآبتي  
وبسمي يا شعر يوم حبي ووري  
أنت أنت يا شعري وأنت أنت فمن  
يسرائل يفرا صميري وسعوري

ولقد ظل الزهاوي يكرر آرائه في كل سمعه . ويصر على  
رأى فاله بالرغم من خصومة الناس له . . وهو في هذا بجيد  
اجادة ممتازة في بعض الاحيان ويكرر نفسه ويستطرد ويبدو  
مبلا وضعيفا في أحيان أخرى .

وقد كره لغة التقليديه والمحسبات السعوية والنقطة . .  
ولم يفت سأن الشعراء المعصرين له عند المعاني العامة بل خاص  
معركة السياسة والحياة والمجتمع في قوة

هذا وقد سببت نزعة الزهاوي التجديديه له كبرا من  
المتاعب والخصومات ولم يحسن أحد وطئه جرأة آرائه

---

(١) معاضرات ناصر الحدي عن الزهاوي .

واندفاعه فردوا له الصاع صاعين

ينفسى قد سبوك حين نصحتهم

هذا جزاء الناصحين فذوقى

قالوا اطردوا الزنديق من أوطانكم

ماذا يخاف القوم من زنديق

قلوا اقتسلوه فانما هو مارق

ماذا يضر المؤمنين مروق

أنا لست زنديقا ولا أنا مارق

حتى يحل لطفركم تمزيقي

والزهاوى الشاعر المجدد له فى الحب شعر عميق المبني

جديد فى العرض تتمثل فيه طبيعته لحريصه على أن يفول

ما لم يقله الشعراء من قبله :

أول الحب فى القلوب شرارة

تختفى تارة وتظهر تارة

ثم يرقى حتى يكون سراجا

لذويه فيه هدى وانارة

ثم يرقى حتى يكون مع الايما

م نارا حمراء ذات حرارة

ثم يرقى حتى يكون أتونا

بحراراته تذوب الحجارة

ثم يرقى حتى يكون حريقا

فيه هلك لاهله وخسارة



ثم يرقى حتى يمتثل بركاتها  
 يرى الناس من بعيد ناره  
 ثم يرقى حتى يكون جحيما  
 عن تفصيلها تضيق العبارة  
 ومن آيت تحديد انه نقل العلم والطبيعة والفلك والكائنات  
 وتعليل الجاذبية الى الشعر . يقول في قصيدته : سياحه  
 العقل .

لا تقبل الاجرام عدا  
 كلا ولا الابعاد حدا  
 العقل يرجع خائبا  
 فيها وان لم يال جهدا  
 مسترشدا بعمله  
 فيها اذا ما صل يهدي  
 والعقل يعلم من سياحته التي اولته مجدا  
 ان المجرة لم تكن الا  
 عوالم ففن عدا  
 والسحب فيها أنجم  
 من الشمسوس بعدن جدا  
 متحركات في السماء  
 تخال ان لهن قصدا  
 منجاذبات نور تخلف  
 واحد عنها لاؤدى

وهو يعاود الحديث عن شعره في عديد من قصائده ويطالبك  
بالانصاف

ما الشعر الاشعورى جئت أعرضه

وأنقده نقدا شريفا غير ذى خلق

الشعر ما عاش دهره بعد فائده

وسار يجرى على الإفسيه كالمثل

والشعر ما اهتز منه روح سامعه

كمن تكهرب من سلك على غفل

وخلاصة رأيه في الشعر الجديد أن يتحرر بجميع اغراضه

من أسر التقاليد الجامدة . . وان الاوزان بالنظريات التي

وضعها الخليل ليست ملزمة وان التجديد يجب ان يشمل

القبالب والمضمون .

## الزهاوى النائر

أريد في هذا الفصل أن أعرض للزهاوى المكتوب . . فقد  
 حلف عددا من الأبحاث والدراسات لتسوية مما يدعون أن نحل  
 معالم كتاباته . ومن هذه المؤلفات رسالة الكائنات (١) في  
 الفلسفة أبدى فيها رأيه الحر في المكان والزمان والقوة والمادة  
 والحياة والجاذبية ورسالة في سباق الخيل (٢) أودعها تجاربه  
 في وكس الخيل . ورسالة في الخط الجديد (٣) وقال عنها:  
 هذا الخط لا يشبه الخط العربي ولا الحروف اللاتينية ويقدر  
 أن يتعلمه التلميذ في أسبوع . وهو جميل ويكتب مفصلا من  
 اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين . ويطبع مقطعا . .  
 وفيه تسهيل للطباعة . . فإن كل حرف منه إذا قلب كان حرفا  
 آخر من الحروف مقام كل حرف بوظيفة حرفين وتعلم ما في ذلك  
 من الاقتصاد . . ويمكن لهذا الخط أن يتخذ خطا عاما لجميع  
 اللغات . ودروس الفلسفة (٤) التي كان القامحا على تلاميذه في

١ - طبعتها المقتطف بالقاهرة ١٨٩٦

٢ - طبعتها الهلال

٣ - نشرها المقتطف

٤ - القاهرة ١٨٩٤

جامعه الاستانة ورسالة الفجر الصادق في الرد على الوهابية  
وقد طبع في مصر قبل الدستور العثماني ورسالة الجاذبية (١)  
وتعليقها ورسالة لعبة الداما وتحتوى على ١٥٠٠ لعبة منها  
٥٠٠ لعبة لاصحابها و ١٠٠٠ من مستنبطاته (وهذه تم تطبع)  
وكتاب تسهيل قواعد اللغة العربية ورسالة الجاذبية وتعليقها (٢)  
وكتاب المجمل مما أرى (٣) .

وليس شك ان كل هذا المحصول الثرى الضخم يعطى  
للزهاوى صفة الكاتب . وان لم يصل فيها الى درجة الشاعر  
التي غلبت على حياته وفنه . ولعله مما يلاحظ أنه كان في  
شبابه يكتب النثر وان كل هذه المؤلفات أو أغلبها طبعت في  
الفترة الاولى من حياته وقبل أن يتفرغ للشعر نقرغ نهائيا  
يقول الزهاوى (٤) بنيت الادب على أنقاض عبد القادر  
العمري والاخرس وكلاهما من الشعراء الوزانين المقلدين فلا  
حراله في الفاظهما ولا ابتكار في معانيهما .

ويقول الزيات أن الزهاوى كان في شبابه ينظر في العلوم  
الفلسفية الطبيعية وسبيله الى ذلك ما ترجم من المقالات  
ولكتب . . ولم يعرف من اللغات غير الفارسية والتركية  
والكردية . . وانه ألف كتاب الكائنات في الفلسفة . وكتاب

١ - طبعت ببغداد

٢ - بغداد ١٩١٠

٣ - مصر ١٩٢٤

٤ - رسائل الزهاوى - مجلة الكاتب المصري ديسمبر ١٩٤٦

الجاذبية وتعليلها في الطبيعة وحالف به اقطاب العلم . ومن ذلك قوله : أين علة الجذب ليست جذب المادة للمادة وإنما هي دفعها لها بسبب ما تسعه من الالكترونات .

وقد عرض العقاد لهذه المسائل الفلسفية التي تناولها الزهاوى في كتبه في مقال له نشر في كتابه ساعات بين الكتب كان قد كتبه عام ١٩٢٧ وفيه يقول : (١) اننى أوقر هذا الباحث الفاضل . وأعرف مستفلال فكره واستقامة منطقته وجراته في جهاده . وغبنه بين قومه فلا أحب أن أقول فيه لغير ضرورة من ضرورات البحث مقالا لا يوائم ذلك التسوقير ولا يناسب ماله عندى من القدر والرعاية .

أول كتاب قرأت للزهاوى كان كذب الكائنات أو رسالة الكائنات لأنها عجلة مختصرة من لقطع الصغيرة وكان ذلك قبل عشرين سنة (أى عام ١٩٠٧) وأنا يومئذ كثير الاشتغال بما وراء الطبيعة وحقائق الموت والحياة . ومباحث الدين والفلسفة . فراقنى من الرسالة سداد النظر وقرب المأخذ . ووضوح التفكير . والجرأة على العقائد الموروثة .

وكنت كلما عاودتها تبينت فيها منطقا صحيحا يذكر القارىء بأشعار ابن سينا ويزيد عليهما بالجلال والترتيب . ثم قرأت للزهاوى شعرا ونثرا وآراء فى العلم والاجتماع تدل على اضطلاع واستقلال ونزعة الى الثقة والابتسكار . وكان آخر ما قرأت له رسالة المجلد مما أرى ثم شعر ينشره فى الصحف المصرية من حين الى حين .

١ - ساعات بين الكتب ص ١٩٧ وما بعدها .

.. واذا قرأت مباحث الزهاوى برزت لك ملكته المنطقية  
 لا حجاب عليها ولمست فى آرائه موطن التحليل والتعليل ..  
 ولكنك تصل فيها الخيال كثيرا والعاطفة أحيانا .. وتلقت  
 الى البديهة فاذا هى محدودة فى أعماقها وأعلىها بسدود من  
 الحس والمنطق لا تخلى لها مطالع الافق ولا مسارب الاغوار ..  
 فهو يريد أن يعيش أبدا فى دنيا تضيئها الشمس وتغشيها  
 سحب النهار لا تنطبق فيها الاجفان . لا تتناجى فيها الاحلام  
 وليست دنيا الحقيقة كلها نهارا وشمسا . ولكنها كذلك ليل  
 وغيب لا تجدى فيها الكبرياء .

وهكذا يعرض العقاد آراء الزهاوى فى العلم . وهو ما كان  
 موضع النقد عند كثير ممن أرخو للزهاوى أو كتبوا عنه .  
 يقول سليم طه التكرينى لرحمى ببغداد (١) لقد بلغ من هوسه  
 بهذه العلوم أن راح يناقض البعض منها ويرد على أصحابها ..  
 ولكن العقاد لا يلبث أن ينصفه فيقول : الاستاذ الزهاوى  
 صاحب ملكة علمية رياضية عن طراز رفيع .. وأنه يصيب فى  
 تفكيره ما طرق من المسائل التى يجتريها بالاستقراء  
 والتحليل ولا تفتقر الى البديهة والشعر . فمن ينشده  
 فلينشده عالما ينظم أو يجنح الى الفلسفة فهو قمين باصفاء  
 اليه .. واقبال عليه فى هذا المجال .

والزهاوى الى هذا صاحب قلم وناثر ولغته قوية ممتازة ..  
 وقد كتب فى الهلال (نوفمبر ١٧٢٦) تحت عنوان هل تدوم

بهذه الأثر ٠٠ فقال : ان الرماد اندى نراكم فى مكان  
الحريق الهائل ثم يخل من جمره اذا نفع دينها المافخ تأججت  
من جديد فكانت قوة كبيره تستطيع عمل شئ حذل ٠ وهكذا  
كان الامر فان الغازى مصطفى كمال نفع فى درع الامه التركيه  
من روحه ٠٠ تلك الروح الكبيره ٠ وهو بمعزل عما كانت  
تكيده له الخلافة فى دارها حتى احيها ورأب صدعها وسترده  
بما جنده من فلل الجيش المدحور ٠ وهو لا يملك يومه لا  
عزمه ما احتلته اليونان من بلادها وكان الفوز بهرا ٠ ويعطى  
هذا لنموذج رقابة ذهن الزهاوى وجمال أسلوبه النرى .

ويعزى اتجاه الزهاوى الى الفلسفه والى ادماجها فى شعره  
ونسره انه كان مدرسا للفلسفه الاسلاميه فى الاسنانة ٠ هذا  
فضلا عن انه بطبيعته فينسوف فيه حب للجدل والمناقشه ٠  
وفى أسلوبه ذكر الاسباب والنتائج ٠ ولقد كانت لغته دائما  
اقرب الى لغة العلم ٠ وقد أحب مجسلة المفتطف لموضوعاتها  
العلمية ٠ ومؤلفات فانديك فى الفلك وكتب الدكتور ورتبات  
عن الفسيولوجيا والنشريح ٠ كما أنه قرأ مترجم الى التركيه  
البؤساء لفكتور هيغو ٠ كما قرأ أناطول فرانس وشكسبير  
وجوته وتولستوى ٠ وكان معجب بشاعر الانزاك الكبير  
بامق كمال ٠

ومما يتصل بعمل الزهاوى الناصر أنه عين فى عهد الاحتلال  
رئيسا للجنة تعريب القوانين التركيه فعرب ١٧ قانونا بين  
صغير وكبير ٠

## الزهاوى والمرأة

من أبرز معالم حياة الزهاوى وشعره اشتراكه فى قضية المرأة ودعوته الى حريتها وتعليمها وسفورها . . وهو أول شاعر عربى يعطى هذه القضية قدرا ضخما من الاهتمام ويتكلم عنها بحرارة . . ولم يسبق فى ذلك الا بقاسم أمين . . ولقد بدا الزهاوى دعوته لتحرير المرأة منذ عام ١٩١٠ وقد تحصل فى سبيل ذلك مشقة كبرى وواجه هجوما صاخبا من معسكر الرجعيين والمتزمتين . . فقد كان لدفاع (١) الزهاوى عن المرأة فى المجتمع العراقى وفعا أشد من وقع كتابات قاسم أمين فى مصر وأبعد منه أثرا . . فقد أنفق نصف قرن أو يزيد وهو يدافع عن المرأة ويوالى حملته بايمان وحرارة . . وقد طالب الزهاوى بتعليمها وسفورها ومساواتها بالرجل فى بيئة كانت تسام فيها المرأة كما تسام الانعام . . وقد نقد الحياة الزوجية فى البيئة العربية وهاجم الطرق الخسيسة التى يجرى الزواج بموجبها وآمن بأن الحجاب من أسباب تأخر المسلمين . . ومن جملة شعر الزهاوى يظهر انه عالج خمس قضايا للمرأة . . السفر ومكافحة تعدد الزوجات ونقد طريقة الزواج والدعوة



الى تعليمها ومشاركتها في الحياة العامة ومساواتها بالرجل  
يقول :

انما المرأة والمرأ سواء في الجدارة  
علموا المرأة فالمرأة عنوان الحضارة  
يرفع الشعب فريقان اثاث وذكور  
وهل الطائر الا بجناحيه يطير  
كيف يسمو الى الحضارة شعب  
منه نصف عن نصفه مستور  
ليس ترقى الانساء في امة ما  
لم تكن قد ترقى الامهات  
آخر المسلمين عن أمم الارض  
حجب تشقى به المسلمات  
لا يفي عفة الفتاة حجاب  
بل يفيها تثقيفها والعلم  
مذبوا ارواح العذارى لتبقى  
سالمات من العذارى الجسوم  
اسفري فالحجاب يا ابنة فهد  
هو داء في الاجتماع وخيم  
انزعيه ومزقيه فقد انكره العصر ناهضاً والحلوم  
اسفري فالسفور للناس صبح زاهر والحجاب ليل بهيم  
من بعدما انتظرت حقاً اباً  
ثارت فمزقت الحجاب اباً

عسوية عرفت أخيرا  
 كيف تنبذ ما أرابا  
 كذا الحجاب يسومها خسفا ويرهقها عذابا  
 وسيطلب التاريخ من ناس  
 لها ظلموا حسابا  
 سألت لها حربة منهم  
 فما لقيت جوابا  
 وليس من الدين الحجاب وانما  
 وجعنا الى راحكه نتفهم  
 فان كان نص فائل بوجوبه  
 ولا نص فيه حسبا اذا علم  
 تأوله حتى نوفق بينه  
 وبين طريق العلم فهو المقدم  
 ليس ترقى لانباء في أمة ما  
 لم تكن قد ترفت الامهات  
 أخر المسلمين عن أمه الارض  
 حجاب تشقى به المسلمات

وهذه النماذج منتقاه من شجرة على مراحل وفترات مختلفة  
 من حياته .

ويسجل الزهاوى في بعض رسائله أثر قصصية المرأة في  
 يقول : وعزلت عن وظيفتي في كلية الحقوق بسبب دعي

عن حقوق المرأة . . . وأدى لدى نظمت مصيدة امراء الجندى  
يوم لم يكن في بغداد شاعر يصرف لشعر في اصلاح  
المجتمع .

ويتوالى الرهاري في موضع آخر من رسائله بصورة أثر  
للمعركة في المرأة في ولاية ناظم كانت جسر يده المؤنة في مصر  
قد نشرت في مجلة أدفع فيها عن حقوق المرأة دفاعا حول هذه  
المقالة ضجة كبيرة وأخذ التعصبون يرغون ويزبدون يندمون  
بالسب واللعن . وكان التعصب في بغداد يومئذ ذا صوته  
فلم يسمع الوالي غير عزلى من وظيفتي ارضاء للرأى العام .

كما أدى قيام الفياضة ضد الزهاوى عليه الى لزوم داره  
خوفا من القتل بعد أن تعرض به دماء الشعب .

ولقد كان الدعوة الزهاوى أثرها فقد نعت صدى ايجابيا  
بالرغم من حملة خصومة عليه من أجلها . . . وفتحت الباب أمام  
تعايم الفئاة في العراق .

## فنون شعره

أصدر الزهرى ديوانه عام ١٦١٢ (طبعة خير الدين الزركلى  
بالمهرة) وقد ضم شعره من عام ١٦٠٧ - ١١٤١ هجرية  
(١٦٦٤-١٨٨٨) فى خلال سبسته وثلاثين عاما وقد كتب على  
صدره هذه البيت

إذا الشعر لم يهرزك عند سماعه

فليس خليقا أن يقال له شاعر

وقد ضم الديوان خمسة عشر بابا تعطى صورة التجديد  
وحسن التنسيق عند الزهرى .

- ♦ الشهقات : فى الغرام
- ♦ هواجس النفس : فى مطالب فلاحية
- ♦ احاديث شجون : فى النقص
- ♦ اندم والتار : فى الحروب
- ♦ انشاهد : فى الوعد
- ♦ الامعوج الناطقة : فى المرائى
- ♦ أبنيذ المجروح : فى البث والشكوى
- ♦ المقارعات : فى البحث على التقدم
- ♦ الشعر والشعراء : فى القرين والشاعر
- ♦ الليل والنهار : فى الاجتماع

• وهي الضمير : في الوطن

• المرأة : في النساء

• قاف الصباح : في الترحيب

• بقايا الشفق : في مطالب نسى

• الخطرات : متفرقة

وتعطي هذه الابواب صورة شعر الزهاوى كله بعد اصدى  
هذا الديوان وهو في سن الستين . وقد استطاع ان يضرب  
في جميع مجالات الشعر وفنونه وأثره محبا ومسلحا جنديا  
رسميا وراثيا ووطنيا .

وقد ظل الزهاوى في شعره زبى الحرارة حتى بلغ سن  
السبعين . . وشارك في محاربة الظلم والاستبداد والرغبة في  
رفى الشرق ومقاومة الخرافات التي دخلت الى الاسلام ومقاومة  
الخرافات التي دخلت الى الاسلام ومقاومة الحجاب وسيلطان  
رجال الدين وان كان كل ما قاله لم يكن جديدا . . الا انه  
سبق زمنه بمانه عام . ويقدم الشعراء جميعا في هذا المجال .  
وفي الزهاوى روح من دعوات جمال الدين الافغانى وبحمد  
مبدىه للاصلاح السياسى والتدنى وفيه من الكواكب حملته على  
لاستبداد .

والزهاوى يرى كل فصيدة هي انصبيدة الاولى ولاحيره  
فلا يبالي أن يكرر فيها ما قال في قصائده أخرى  
ويقول في مقدمة ديوانه : ربما عرف المطالع شعري حله  
بلادى السياسيه ودرجه من الرفى في السنين الى عشت

فيها وعرف عن حيائي ما لم يعرفه من السراج المصطفى  
واعلم شعر الزهاوي دعوة الى الحرية والسجدة وبور  
دائمه على الجمود والتقاليد واليود الفرية والاجتماعية فقد  
ان يؤمن بان الشرق لا يتم له التقدم الا اذا تحرر من عبده  
القيود التي علت تفكير ابنائه

وبيتاه هذين يرمان الى مذهبه واجهه الله :

سئمت لل فديم عرفته في حيائي

ان كان عندك شيء من الجديد فهات

غير اننا اذا ذهبنا نقارن شعر الزهاوي في ديوانه هذا مع  
ديوانه الاول الذي أصدره عام ١٩٠٧ اي قبله بأكثر من خمسة  
عشر عاما وهو الكلم المنظوم نجد فارقا بعيدا . فقد كان ديوانه  
الاول مجموعة من القصائد التي قالها أيام الاستبداد ونشرها  
في الصحف المصرية بتوقيعات رمزية خوفا من السجن .  
وكان الزهاوي راضيا عن الاتراك والسلطان في أول الامر  
ثم تغير رأيه عندما بدأ الاحرار الاتراك دعواهم فاصبح موضع  
رقابه شديدة مما حمله الى العودة الى العراق مخفورا .

ولما راتب الغدر في القوم شيمه

وان مجال الظلم فيها يوسع

وان كلام الحق ينبت جانب

وان اراجيف الوضعية تسع

خشيت على نفسي فأزمت رجعه

الى بلدي عن قبيل اني اصرع

وهل راحه فى بلده نصف اهلها  
 على نصفه الثانى عيسون تطعم  
 نراقب افعالى وكل عثمسيه  
 الى ويلدزه عنى التقسارير ترفع  
 وبقول الزهاوى فى المقارنه بين الشرق والغرب  
 الشرق ما زال يحبو وهو مفتض  
 والغرب يركض ونبا وهو نعان  
 والغرب ابدؤه بالعلم قد سعدوا  
 والشرق اعملوه فى جهل كما كانوا

## الزهاوى شاعر القومية العربية

الزهاوى «شاعر الحرية» ما فى ذلك شك ولا ريب . . . لقد عاش للحرية حياته يوما يوما وساعة ساعة . . . كان كل يومه وفودا لهذه الشعلة المقدسة . . . شعلة الحرية . . . فقد كان يحب الحرية حبا يفوق كل حب ويدعو اليها ويطالب بها ويفنى لها . . . وهو اذا حرم منها ضاق بها وظل يصرخ صرخاته القوية لجيرة . . .

والزهاوى شاعر القومية العربية غير مدافع . . . حمل لواءها ودعا اليه منذ خمسين عاما وضح بالدعاء . . .

ولقد عاش الزهاوى فى عصر عبد الحميد . . . وعاداه . . . وأرسل اليه قصيدة صائحا بدعوة الحرية فى وجه الجل المستبد الذى كانت الناس تخشاه وتحمل فى سبيل صيخته لن اذى وسجن ونفى وخراج . . . ولكنه ظل مؤمنا بدعوه . . . ومضى مواصلا ايده . . . فاذا ضاقت به العراق عن أن يمشى فيها كلمة الحرية أرسلها بانبريد الى مصر لتتشر فى صحفها رمضاء مستفارا . . .

واذا قلبنا ديوانه وجدنا شعر الحرية هو أغلب شعره وأعمه ، وهو أصدق شعره وأشد أثره فى النفس  
أبناء دجلة والفرات نيام  
عن حقها وترها الاحلام



وإذا الحقائق لم يجد في أمه  
 سنداً تقوم مقامها الأوهام  
 إن العسراق به يعيش لشهوة  
 شعب يسام الدل ثم يسام  
 القوة حتى صار فيهم طابعا  
 من طول ماصفعتهم الأيام  
 لو كلفوا مشيا على رأسهم  
 لمشوا كان رؤوسهم أقدام  
 فهو يدعو أهل العراق الامجاد في صيحة جسارة قوية إن  
 مهوا ولا تحتلوا الدل ولا ترضوا به .

لا ينبغي استقلاله شعب له لم يستعدا  
 شعب إذا لم يستبد به حكومته استبداد  
 شعب يلم بشره وذا ألم فلا مردا  
 شعب يظن الجدد هزلا كله والهزل جدا  
 شعب يعرض للطعام بكل يوم منه خبدا

ولكن الشعب كان قوى الشكيمة لم يغفر للاستبداد ذله  
 فنار ثورة حامية حرقت على الدخيل الاخضر واليابس  
 وهو لا يدعو بغداد وحدها الى الحرية ولكنه يدعو الشرق  
 كله .

عظيم على الافكار في عصرنا الحجر  
 أما كل انسانه بأرائه حمر

وهل فله الشعب المريد انطلاقه  
من الاسر ان الحجر فيه هو الاسر  
وهل نافع تحريريه من اسساره  
اذا لم يكن فى راسه حرر الشكر  
واى رفى فى الحياه ميسر  
لقوم يقول الحق ما أن لهم جهر

يرومون . اللافواه كما يحضفهم  
وذاك لعمري ثم ذاك هو النكر  
اذا الشرق لم ينفع من القطر غله  
بأكباده المحرى فلا نزل القطر  
لقد طال ليل الشرق بعد نهاره  
أما بعد ليل الشرق محلولا فجر  
ولا بد من أخذ العروبة حقها  
وان حالت الاقدار أو خذل الدهر

وهو فى هذا يدعو إلى القومية العربية مؤمنا بها  
وكلما جاءت المناسبات ذكر العراق شعبه المكبل بانقيود  
ودعا الى الحرية فى قوة

عيسى بن إلم على ياس بمملكة  
وليس فيه لجرح سدا تضييد  
حيث المنيل بسعيد من تولفه  
وعن مواطنه المحر تشريد

الحق يوطئ بلادهم مستحقا .  
 وما هنالك يحمي الحق بصنيد  
 نالت مطالبه الاقوام . فاطبسة  
 ومطلب العرب المهضوم مردود  
 ولا بتلك بلاد العرب من جند  
 ولا بتلك بلاد العرب مسمود  
 وهكذا ينكسف انزهاوي في كل شعوره على انه ليس ساعر  
 الحرية فحسب ولكنه ساعر القومية العربية لما يؤمن به  
 العرب ويعملون بها .  
 وهو محب لوطن . صديق الحب . يتره هوانه و يواجه  
 حكامه بالنقد

اعديت يوطئ سباب برصه  
 وترجت فيه يافع وعلام  
 باندل لا ارضى وان سددت به  
 روعي وأرضى بالحماس رؤاما  
 حتى الذين اذا الهوان اصد بهم  
 اتخذوا الالباء من الهوان خصما  
 يا قومنا لا نفع في احلامكم  
 فخذوا الالباء من الهوان عصما  
 يا قومنا لا نفع في احلامكم  
 فخذوا الحقائق وابذوا لاحلام  
 في لاربأ ان اكون محبة  
 في الحادثات ولا اكون حياء

والله يريد الظالمون لنفسهم

بالظلم من شر يلم سسلا

ولست اعتقد أن أدب القوة يمكن أن يؤدي بأقوى مما آداه  
الزهاوى فى قصائده الحماسية النصارية لتي دعا فيها الى  
لحرية ..

فهو حامل مشعل الحقائق يدعو الى نبذ الاحلام و لاوهام .  
وهو داخ دائما وأبدا لى الالباء من الهوان والى نبذ الرضا  
والتسليم والى قبول الحمام والموت دون الاوطان وحرقاتها  
وكراماتها .

وهو فى ابان الحكم العثمانى يقذف الدولة العثمانية بأسواط  
لمتهبه من شعره يسى بها ظلمت الليل البهيم الذى يعيش فيه  
العرب

وما هى الا دولة مستعبدة

تسوس بما يقضى هواها وتعمل

فترفع بالاعزاز من كن جاهلا

ونخفض بالاذلال من كان يعقل

الا انما بغداد قد أصبحت بهم

يهددها داء من الجهل معضل

وقد عبثت بالشعب أطماع ظالم

يحملة من جوء ما يحمّل

فتعسا لقوم فوضوا امر أنفسهم

الى ملك عن فعله ليس يسأل

فيا ملكا في ظلمه ظل مسرفا  
فلا الأمن موفور ولا هو يعدل  
ولعلها أول صيحة في الشعر العربي لمواجهة ظلم عبد الحميد  
يرتبط فيها الزهوى بصاحبه الكواكبي صاحب كتاب مصارع  
الاستبداد .

نحن في غفلة نيسام وعنا  
نائبات الزمان غير نيسام  
نحن في دولة تدارلها الله  
تبيع المحظور للحكام  
وعدوها بالأصلاح جم ولكن  
لا يجوز الاصلاح حد الكلام  
نحن قوم قضت ارادة شخص  
واحد أن نعيش كالانعام  
ايها الظالم اغتصبت حقسوقا  
قد حبساها الانام رب الانام  
وما اظن أن السلطان عبد الحميد واجه من الهجوم مثل  
ما واجهه به الزهاوي شاعر الحرية والقومية العربية  
قد أسمعتك أنينها الاوطان  
بضعيف صوت ملؤها الاشجان  
ممت اليك يد التسكاة لانها  
قد عاث فيها الظلم والعدوان  
ادرك بها الضعفاء واستمجل فقد  
عز النصير وقله الاعسوان

أن كنت نصرها وحمى حوصنها  
 عن غاصب فلفسه اتى الابان  
 أدرك بنصر امر فومك أنهم  
 ظنموا فريع الشيب والشهبان  
 وهو ما يزال يحمل على نظم حملات متعددة . . لا يتوقف  
 ولا يتراجع . . وإنما يمضى بفلمه النصارى يعدد انام الظلم  
 وشره ويدعو الى العدل الذى هو الحرية  
 خفف من الظلم ابساء وبهوين  
 فالظلم يقتلنا ونعدل يحيينا  
 يا مالك الامر ان الناس قد ضجروا  
 عامل برفق رعائك المساكين  
 لهسوت عنا بما أوتيت من دعة  
 فأبيض ليلك واسودت ليلينا  
 ليست طريقك محمودا نغبنها  
 فأبدأ اذا شئت فى لأحوال نحسين  
 رعو من دعاة السلام . يكره الحرب وينهر عنها  
 الحسب المتبهوسين  
 هى الطريق الارعسر  
 الحرب لولا أن تحس ضرورة لا تشهر  
 تضنى الذى هو ظافسر  
 وتذل من لا نظفر  
 فى الحرب لا تلقى من الفتنة من لا يخسر  
 فاذا أهل الدستور الجديدة عام ١٨٠٨ استقبله الزعماوى

فرحاً به مضيق موقف حيله جديده للعرب وباب جديد للحرية

البرق اعشى لنا بسرى بها امننت

أرواحنا بعد طول الخوف والرهيب

بسرى كما نبتغى الأمل صادق

احبها الناس من قاصى ومغترب

صاحت لفرحه هذا العيد أفئدة

كانت تن من الارزاء والذروب

صاحت سرورا وكانت قبل فرحتها

يدعو على كربها بالويل والحرب

ويمضى الزهاوى دعيا الى احربه مؤمنا بها لا يخلت عن

الركب فاذا بدا العرب ينحرون من نير اسرك ونسى السرب

تكدور العرب رجههم بالحقائق

وما فنه الاصلاح الا كبارى

يعزل بالفطر الذى لبس يزل

نهم انر للجور هي كل بلدة

يمثل في أفعالهم ما يعمل

اذا نزلوا أرضا نقم خطبها

كانهم فيها المبالا الموكل

وتبلغ الزهاوى قمة ايمانه بالحربة في قصيده المندم

يرى بها من شفقهم أحمد جمال باشا السباح الوالى لتركى على

سوربا عن احرار العرب

على كل عود صاحب و خليل

ونى كل بيت رنة حو حويل

وفي كل عين عبرة مهـراقة  
 وفي كل قلب حسرة وغليـل  
 عـسلاها وما غير الفتوة سلم  
 « شباب نسأى للعلـى وكهـول »  
 كان وجوه القـوم فرق حـزوعهم  
 نجوم سما، فى الصـباح أقول  
 كان الجذوع القائـمات منـابر  
 علت خطباء عودهم تقـول  
 لقد ركبـوا كوز المطايا يحـثهم  
 الى الموت من وادى الحياة رحيل

أجالوا بهـنيك المسـبانق نظرة  
 ينوح عليها اليأس حين تجـول  
 وبالناس ان حفوا بهم يخفرونهم  
 وقوفا وفي أيدي الوقوف نصـول  
 دنوا فرقوها واحدا بعد واحد  
 وقالوا وجيزا ليس فيه فضـول  
 فمن سابق كيلا يقال محـاذر  
 ومستعجل كيلا يقال كسـول  
 ولله ما كانوا يحسـون من أذى  
 اذ الارض تنسأى تحتهم وتزول  
 واذا قربوا منها واذا صعدوا بها  
 واذا مس هاتيك الرقاب حبـول



وما هي إلا رجسه بعنرى الفتى  
مفجأة والرأس منه يميل  
مشوا في سبيل الحق يحدوهم الردى  
وللحق بين الصالحين سبيل  
ستبكي على تلك الوجوه منازل  
وتبكي ربوع الصلى وطلول  
وأعظم بخطب فيه للمجد شقوة  
وفى جسد العلياء منه نحول  
سرت روحهم تطوى السماء لربها  
وما غير ضوء الفرقدين دليـل  
ولله عيدان من الليل أثمرت رجالا  
عليهم هبة وقبول  
هوت أهم ماذا بهم يوم صلبوا  
على غير ذنب كى يقال دخـلوا  
سوى أنهم قد طالبوا لبلادهم  
بأمر اليهم فخرو سـبـلوا  
ونادوا باصلاح يكون الى الصلى  
وللتنجح والعمران فيه وصـلوا  
فما رد عنهم عنهم بالشفاعة عصبة  
ولا ذنب عنهم بالصلاح قبيل  
وهكذا يصل الزهاوى الى القمة فى إيمانه بالعربة ونداهه  
عن القومية العربية

وهو لم يقف عند حد مقاومته للمعاصيين ولكنه ظل يهاوم  
الانجليز في العرني في كل مناسبة يحس فيها بأنهم يفتون  
حرية الشعب أو يفصبون حقه الشرعي

تلفن معاهدة وأخرى تعقد  
والشعب يستفتى لها ويهدد  
والشعب يطرى للجسالة خنجرا  
في صدره عما قريب يغمس  
وكان يوم الفاصبين نحهم  
ليل وهذا الليل بحر مزبد  
والشعب بالقيد الثقيل مكبل  
حتى يكاد اذا تحسرك يقعد  
لبعض كسوخ واطىء وللبعضهم  
صرح كما شمس النعيم ممر

والزهاوى بعد هذا كله بشر فاذا أخذ عليه نقاده ضعفا في  
بعض مراحل حياته أو موقفا هنيا فانما يجب أن نذكر أنه كان  
يعيش في فتوة من أحلك الفترات التي كان يمر بها الشرق  
حيث الاستبداد والاستعمار والبلاء كله يصب على الأمة العربية  
من الترك والانجليز على السواء وان روح المقاومة الفعلية لم تكن  
قد أخذت بعد صورتها الحية القوية التي نراها اليوم . فهو  
بالنسبة لجيله في دعوة الحرية والقومية العربية سباق متقدم  
من جيله وقد رجعت حرارة ايمانه وصدق كفاحه بما أخذ  
عليه رجحانا كبيرا

## بغداد في شعر الزهاوي

أحب الزهاوي بغداد حبا قويا عميقا صادق لم يغير ولم يتحول  
وقد سجل في شعره في عدد المواضيع سمعته بالعراق وحبه له  
ولكن حبه لم يكن تقليديا يصوغه مدحا . وإنما كان حبا بصيرا  
يحمل معنى الإيمان بالوطن . والدعوة الى تحريره وتخليصه  
من قيود الفكر وقيود الاجتماع وقيود السياسة .  
وقد كان يكره بغداد أحيانا حين كان يحكمها المستبدون  
من الأتراك :

كراهيتي لبغداد في شدة وازدياد  
أبدل لي قربها بالبعد  
كرهتها نفسي وملء فؤادي

وهو في هذه الفترة يسميها دار الظلم والجهل والنسأ .  
ويقول انه في كل يوم مصيبة تتحدد ومشكل يتولد  
أين ذهن قد كان يشبه برقا  
سرعة في فهم الأمور وخف  
حرقته نار التوقد حرقا  
أنك اليوم لو تفتش تلقى  
حجرة منه في ركام الرماد

ذلك أن الزهراوى الانوف المعتز بشخصيته كان يود أن  
يختار لعمل ممتاز يليق بمكانته وشعره .. فهو فى غير مكانه  
نم هو يلقى حملات الخصوم من حوله فلا يلبث أن يقول :

سجن بفساد فى الحقيقة قبر

موحش فيه تدفن الاحياء

عجرات فى جوفها ظلمات

فهى فى الليل والنهار سواء

وقد ظل يحس بأنه دون قدره .. وانه لم يعط ما كان  
خليقا به .. فحمل على العراق فى صورة حكامها من العثمانيين

اننى اليوم فى بلادى اسير

ليت شمسى متى يكون فكاكى

وفى ابان هذه الازمة النفسية فكر فى الهجرة الى مصر

فنظم قصيدته الخماسية

« أنت مصر ملجأ الاحرار » وفيها يقول :

شاعر بالعراق ينظم شعرا

فيرى دون نشر ما قال عسرا

ليهادي به على البعد مصرا

حيث يلقى الشعر الملهب نشر

ان مصر ريحانة الامصار

تبلغ النفس عند مصر منساها

طيب الله بالسسلام ثراها

بلدم حبيب النجاح سقاها

يجد البحر مائماً في دراه  
أنت يا مصر ملجأ الأحرار  
كان ذلك في أوائل القرن العشرين .. عندما فكر الزهاوي  
في الهجرة من بغداد إلى القاهرة . وخرج غاصباً ولكنه لم  
ينبت أن عاد بعد قليل إلى بغداد

وكنت هيبت فبـس سنين مصرا  
فلم أصمأ وفضلت ألياً  
ذكرت موطني وذكرت أهلي  
وليلي والصبيبه والشبابا  
وقلت لقد نأت ببغداد عني  
فليت الدهر يمنحني اقترابا  
ولو أني رجعت إلى بلادي  
لقبـلت المنـازل والترابا  
وهكذا يبدو حبه لبغداد قوياً دافقاً حتى انه لا يلبث أن  
يقول :

اني اذا احتاج العراق فيالحياة له أجود  
ان لم اذد أنا عن حقوق للعراق فمن يزود  
ثم يعتدل رأيه في العراق بعد أن تتكشف غمة الحسـم  
العثماني ويبدأ الحكم الوطني بعد أن يلى الملك فيصل الحكم  
في العراق :

قد ذقت صاباً في حياتي بالعراق ، وذقت شهد  
ولقيت فيما قد لقيت بموطني بغصا وسـعدا  
ورأيت بعد المد حـزرا ثم بعد الحـزـر مدا

وقد شارك الزهاوى فى الحياة السياسية فى العراق  
مشاركة فعلية حتى ليسجل ديوانه جانباً كبيراً من صورته  
الحياة . . . صور فترة الظلام التى سادت العراق أيام عبد الحميد  
ثم كيف تكشففت السحب عند بدء عهد الدستور فى الدولة  
العثمانية ثم كيف بدأت العراق تقاوم الاحتلال البريطانى فى  
العراق ويقيم الحكم الوطنى فيه

ونظم الزهاوى شعراً فى استقبال فيصل وفى استقلال  
العراق وفى الحياة النيابية وشارك فى استقبال غازى وبنوك  
حكمه .

وقد سجل الزهاوى فى مذكراته التى عرفت باسم رسائل  
الزهاوى حالة العراق عند مولده عام ١٨٦٣ . فقال : كان عدد  
سكان بغداد فى العهد الذى ولدت فيه مائتى ألف نسمة تقريباً  
وحالتها الاجتماعية يومئذ منحطة ولا غناية لأكثر رجالها الا  
التزلف الى الحكام الاتراك وولانهم ولا مناقسة الا فى الرتب  
والالقباب .

وقد بلغ عدد سكانها عام ١٩٢٢ (وقت تحرير مذكراته)  
٣٥٠ ألفاً وكانت العراق فى روء غير ان ايجعل كان يسود  
أكثر أهله ولم تكن فيه يومئذ هذه المدارس الحديثة المنتشرة فى  
أنحائها الا الكتاتيب والمدارس القديمة الدينية وكان المقصود  
شديداً .

وفى بعض شعر الزهاوى يذكر العراق ويقول :

أنا والحق في العراق مضاعفان  
 وما فيه غيرنا بمضاعف  
 وإذا جرت البقايا شسقاء  
 لمقيم فتلك شر البقاسع  
 وقد صور الزهراوي بغداد في أكثر صورة جميلة رائعة  
 مسجلة أنها هي التي أوجت إليه الشعر :  
 هلك في بغداد على ضفة دجلة سماء صافية زرقاء تلج في  
 ليلاها النجوم فرادى وأزواجا واشتاتاً وركاما وأرض خضراء  
 أديمها هي منبت جسدي وعقلي وأصحب يوالون وأعداء يناوون  
 وجهاد مستمر وآمال بيض وبأس أسود .. وفساد في النظام  
 وعادات سيئة تضر بالمجتمع ونفس لي حرة لا تقدم على الضيم  
 كل ذلك قد انطقني شعرا هو شعور كن بجش في نفسي قبل  
 أن أنطق به .

## بين الزهاوى وخصومه

عاش الزهاوى حياته فى حرب متصلة بينه وبين خصومه هو بعناده وجراته واندفاعه فى اعلان الراى الجرىء وخوض معارك الحرية ومهاجمة العسادات المألوفة يثير فى كل يوم خصومة مع الحكام والولاة ورجال الدين والمحافظين . ولم يكن الزهاوى يصبر على النقد أو يبتسم له أو يسخر منه . وانما كان يواجهه فى غيظ وكراهية وألم . يبلغ به أحياناً حد البكاء . . وقد يدفعه الى التفكير فى الهجرة والخروج من أرض الوطن .

وقد احتال لإعلان آرائه بكل وسيلة . . كان ينشر آرائه وقصائده بتوقيع رمزى . . وكان ينشرها فى غير صحف العراق . . ولكنه لم يكن يتنازل عن تصميمه وهو لم يعيش يوماً دون معارك أو خصومات مندفعاً فى حماسة وعاطفة وعناده . . وقد سجل انه كابد فى حياته مزيداً من الشقاء والاضطهاد . وأنه رأى عادات سيئة وفساد . . وأن نفسه الحرة دفعت الى أن يقاوم هذا كله ويعمل على إزالته . وقد شغل الراى العام بآرائه الجديدة الجريئة فخلق خصومات نازقة كانت تواليه بالتقريع والهجاء .



وقد صور الاستاذ ناصر الحانئ في محاضراته عن الزهاوى هذا الجانب من حياته فقال : وأغرب ما في أمره ان اندفاعه المشهور وحماسه التي جاز خبرها حدود الرافدين . وقد اعترافا صمت طويل وصحب هذا صخب عليه . وتقول تتضارب في وطنيته وقوميته . وقد عزز هذا القول . اسندته السلطة المحتلة من مناصب للزهاوى قد لا تكون اعلى منه مقامها ولكن الظروف التي عهدتها اليه نابية جائرة ففسارت وبالا عليه . وظل في حيرة من أمره وصار الناس ينظرون اليه بعين الشك والارتياب ولا يطمئنون اليه فكثرت أعداؤه ومفساوموه وكثر الذين يريدون أن يوقعوا به .

ولم يكن ليحتمل ما وقع له فظل مضطرب يحتمى الناس ويتوهم أنهم سيوقعون به لا محالة . . . وكأنه أدرك فشله بالمشاركة بأقصى محنة عرفتها (١) بلاده . فحاول أن يوذ بالتقاليد التي رزح فيها الناس والمشكلات الاجتماعية التي تحفهم فحمل على العقائد البالية . ودعا الى التحرر الفكري . . . ومساواة المرأة بالرجل . ولم يكفر هذا سيئته عند الناس . فقد حاول أكثر من مرة أن يهجر العراق بعد أن توالى عليه النقد والتقريع . . . فقرر السفر الى سورية بعد سنين مضت على الثورة ولكنه لم يسافر الى سوريا وسافر الى مصر .

(١) ثورة العراق عام ١٩٢٠

وهو فيما يتصل هذا قال قصيدته :

سأرحل عن بغداد زحله عائف  
فقد طال في دار الهوان قعودي  
وأفرح من ألى ومـالى وموطني  
وما كان لي من طارق وتلبـد  
ولم في عمري كبغداد منزلا  
به العلم لا يجزي بغير جـود  
رأيت بها بؤسا وشـاهدت نعمة  
فلم أسترح من شـامت وحسود

يقول الاستاذ ناصر : ولم يستطع الزهاوى أن يطيل مكنه خارج العراق فكانت غيبته استجماما فصدفت الناس عنه قليلا فأستطاع بعد عودته أن يخوض غمار الاحداث العامة وأن يوقف نفسه لها فيثيرها ضجة على الحكومة .  
والواقع أن الزهاوى كانت له مع اهل وطنه مواقف لعلها هي التي دفعتهم الى الحماسة عليه . ولعلها هي التي جعلته يسرف في الدعوة الى التجديد والحرية وتحرير المرأة .  
ومن أهم هذه المواقف : مديح الزهاوى للسلطان عبد الحميد أولا ثم حملته عليه . . وفي ديوانه الكلم المنظوم قصيدة يقول فيها :

لسلطاننا عبد الحميد سـياسة  
طريقتها في المعضلات هي المثل  
ماذا على السلطان لو أجرى  
الذي يشتاقه الاحرار من اصلاح

سللت لنصر الدين سيف وعزومه  
 قللت به ما لم يكن فيه سهلا  
 فجهزت جيشا لنجهد عروما  
 قهرت به ذاك العدو الذى ولى  
 ومن هذه المواقف قصيدته فى مدح الانجليز والتى جعل  
 عنوانها ولاء الانجليز (١) وفيها يقول :

وجئت الانجليز أولى احتشام  
 أباء الضيم حفاظ الزمام  
 أحب الانجليز واصطفاهم  
 لمضى الاخساء من الانام

ولقد كن لهذه القصيدة أثر مظلم سيده الظلمة على حياة  
 الزهاوى فقد لحقه عارها طوال حياته وكانت كما قال الاسياد  
 ناصر من أسباب حملة خصومه عليه وهجرته .

وقد كتب الزهاوى فى رسائله (٢) علما على هذا العناد  
 الخطير فقال : لما ذهبت الى الاستانة واختلطت بالترك الفتيان  
 أبعدت بالتجاهر ونشر الفضائل بأسماء مستعرة فى أهميات  
 الصحف المصرية . وقد ذهبنا فى حرب الانجليز والبوير  
 جماعة من الترك الاحرار نمضى للانجليز العوز فى محاربتهم  
 وذلك بفرار من الحزب المناوى لعبد الحميد . . يريدون بذلك  
 أن يعضدهم الانجليز فى طلب الدستور . واتت نكبة هذه

١ - ديوان السليم المنظوم

٢ - الكاتب المصرى - ديسمبر ١٩٤٦

الغاية قصيدة أمدح فيها الإنجليز وأشدو بقوة أسطولهم . وقد  
نشرت في أول ديواني (الكلم المنظوم) وإلى الآن يعينني ناقدى  
على هذه القصيدة . ولكن من كنت يومئذ أعرف أنه ستحدث  
حرب عالمية ويحتل العراق . هذا ما لم يخطر في بال أحد .  
وهو دفاع ضعيف ولاشك . . . ولعل الزهاوى قد حاول بعد  
ذلك أن يدفع بشعره في مجال التكفاح الوطنى ليفطى على هذه  
القصيدة وهو أن كان قد رنى بعد ذلك أحرار سوريا الذين  
شققتهم أحمد جمال السفاح فإنه صور الثورة بصورة الوبال  
على البلاد .

وقد كان مما أخذ عليه أنه قعد عن الثورة العراقية الضخمة  
فلم يتناولها بيت واحد من الشعر ، وقد كان مما أخذ عليه أنه  
قعد عن الثورة العراقية الضخمة فلم يتناولها بيت من الشعر  
ومما يسجله الزهاوى في هذا الصدد ويأخذه عليه خصومه  
أنه عندما وقعت الحرب العالمية واحتلت الجنود البريطانية  
بغداد . . . أرادت أن تأخذنى إلى الهند أسيرا . ولكنى أبرزت  
ورقة فيها صراحة بأنى مكاتب جريدة المقطم فأفرجوا عنى . .  
وكانت هذه الجريدة موالية للإنجليز

وقد صور الزهاوى موقف خصومه منه فى بعض شعره :  
قالوا دخیل فی القریض فما أجساد ولا أجدا  
قالوا صغیر لا یعد من الفحسول ولن یعدا  
قالوا الى الاحسان منه غیره فی الشـعر أهـی  
وله جراء فیلسوف یوسع الادیان مجسدا  
ویصور خصوماته دائما بأنها فی سبیل الفكر

وما آن لى الى الجهل ذب  
فيغريهم بنفسي ان يكيـدوا  
سوى أنى مخالفهم وانى  
لكل خرافة منهم جـود  
وقد توعدده قوم بالقتل لجراة رأيه ولكنه لا يبالي بهم :  
توعدى بالقتل قـوم وانما  
لكل امرئ فى الموت يوم وميقات  
برئت من العلياء ان كان لى بما توعد فى القوم اللثام مبالاة  
وربما أراد الزهاوى أن يكفر عن هذه الاخطاء فقال فى مقدمة  
ديوانه الذى أصدره عام ١٩٢٤ « ما حمدت الا من ظننت فيه  
خيرا للبلاد وربما خاب ظني فى بعضهم فكففت »  
قد مدحت الذين لم يـسـتـحقوا مدائحي  
أحسبـوها على ضرورتها من قبائحي  
ومن المأخذ التى سجلها هو على نفسه مدافعا عنها قوله  
قد يعلق بذهن الشاعر شطر من بيت سمعه لمتقدم فيأتى  
بعد سنين فى تضاعيف قصيدة له لاقتضاء المقام لذلك . وهو  
ناس أنه مقول . فتقوم عليه القيامة ويرمى بالسرقة . -  
كما يعتذر عن بعض شعره الذى وصف بأنه نظم رگيسك  
أو سطحي المانى :

لا أغالى فربما قلت شعرا  
لم أكن فى قرضى له بالمجيد  
منه بكر بطرى ومنه عـوان  
لم يحز رتبة الكعاب المزيـد

قلته لاهبا في سبيل  
 من هموم الهوى وبرح الصدود  
 يوم للخيد كنت أصيبوا ومن  
 ذا ليس يصبوا الى الحسان القيد  
 ثم أرهفته فكان سسلاحي  
 ثم غنيته فكان نسبيدي  
 ثم صسيرته مجنا يقيني  
 من فروق شر عبد الحمسيدي

## الزهاوى والموت

للموت فى شعر الزهاوى مكان كبير .. فهو الرجل المجدد  
الذى حاول أن يقتحم فى الحياة بقوة .. كان يمسود فيذكر  
الموت ويخشاه ويقف عنده وقفات تختلف مع السن .  
وهو يصور فكرة الموت وما بعد الموت من أهوال :  
للمرأ فى الارض الفضاء مساكن  
انى مضى والقبر آحر مسكن  
والموت فوق جناادل وصفائح  
كالموت حم على فراش لين  
قالوا وراء الموت أهوال ولم  
أحفل بما قالوا ولم أتيقن  
ولعل هذا الموت مبدأ رحلة  
للروح خالصة وراء الأزم  
وكأننا صور الخيال لبرهة  
تبدو وتحفى فى شمساع الاعين  
قد سرت قبل للسورى متجلا  
ولعلنى بك لاحسق ولعلنى  
لا تسألونى عن مصير من انطوا  
أما بالمسواقب لميت بالمتكهن

ويقول في موضع آخر من القصيدة :

تبني الحياة لها الصروح من المنى  
والموت يهدم كل ما هي تبنتي  
في الكون هذا كل شيء ممكن  
الا البقاء فذاك ليس بممكن  
لا بد من موت لمن هو عائش  
فأشجع اذا قابلته أو فأجبن  
ان الموت لرايض متحين  
مماذا - مراد الرايض المتحين

وهي قصيدة احساساتي يصور الموت في صورة أخرى .  
وقد نظمها قبل موته بشهور قلائل وكان قد نزل من السيارة  
عند باب السوق في بغداد يريد مقابلة أحد الكتبيين فسقط  
منه عليه فحملوه الى داره فقال : . . قلت لعل يومى قد اقترب  
وهي آخر قصيدة قالها قبل موته :

قد أتى يا منيتى أن تصودى  
بى الى حيث كنت قبل وجودى  
ليس من هذا المسوت لا نفس بد  
فهو للناس من تراث الجسدود  
يا أماني فارقيني ويا نفس وداعا  
ويا حساشه جودى  
لا نخافى على الموت سهلا  
لا .. كما ينعون به بشعبد  
لا تخافى ليس على الارض ولا في سمائها بجديد



وليل الصبا يمير رخاء  
 فوق ملحودتي فينفض عسودي  
 لا أنيس ولا نسيم ولا نور  
 يزيل الظلام عن ملحودي  
 يوم لا تبصر الربيع  
 ولا تصفى لانغام البلب الغريد  
 يوم لا تطلع النجوم علينا  
 باسمات من السماء كخود  
 يوم لا يسفر الصباح لنا  
 من جانب السماء قائماً كعمود  
 يوم أيدي الردي تجردني  
 من كل طارف وتليسد  
 سيقولون شاعر غاب في اللحد  
 وكم غاب مثله في اللحد  
 سبقتني الى المقابر موتى  
 أنا في الراجلين غير وحيد  
 بعد نومي على فسراش وثير  
 عن قريب أنام في أخدود  
 لا أنيس ولا نسيم ولا نور  
 يزيل الظلام من ملحودي  
 غير أني ما أن سئمت حياتي  
 وهبوطي وهادها وصعودي

ما بلغنا من اللبافات يا نفسى  
 سنوى التفر بعد جهد جهيد  
 يممى يا نفسى السمسما فاني  
 لا أرى فى الثرى طريق الخلود  
 ان تلك السمسما كالارض هذى  
 حومة تسمى للكفساح الشديد  
 لا يخيفنك اللقواء بحرب  
 هنى بالنسار تلتظى والحديد  
 أنت حاربت للتححرر أعواما  
 طوالا فحسارنى من جديد  
 أنت فى الارض ما نطاطات حتى  
 تخضعى فى السمسما أو تستقيدى  
 انما أنت للتمرد لا للخسف  
 فالرسف فى ثقال الفيود

وفى هذه القصيدة يبدو الزهاوى وهو على أبواب الموت فى  
 عناده وشماسه وكبريائه .. مدلا بشعره وجهاده فى سبيل  
 التحرير . كما يرى أنه بالرغم من بؤس السبعين لم يزل بحب  
 الحياة ويرى أنه لم يقضى منها الا اللبانات اليسيرة بعد الجهد  
 الجهد . وأنه سيحرم من أنوارها وضحاها وجمالها فى حسرة  
 بالغة ..

ويتصل بالموت شعره فى الرثاء ويمتاز بروح حية وأسلوب  
 طليق وفلسفة عميقة يتصل دائما بالموت والحياة

يرنى المتبنى فى لدلى الانقىة عىطوله (١) و كانه يدكم  
نفسه :

ما أنت يا أحمد فى دولة الادب  
الا الزعيم والا شىء عى العرب  
وما تنبأت فى دىن كما زعموا  
بل فى الفصاحة سىاقا وفى الادب  
فكان يوحى اليك الشعر عن شىء  
و كنت فى قسادة الاداب اولهم  
وكان يوحى اليك الشعر عن كتب  
و كنت اولهم فى الجفصل اللجب  
و كنت فى الشعر مثل المء منطلقا  
و كنت فى الحرب مثل النار فى العطب  
كم حكمة لك سبارت فى الورى مثلا  
قد قلتها بلسان الشاعى الذرى  
كم دولة للقريضى الناهضى انقلبى  
لكن عرشك فىها غير منقلب  
وقال فى تابىن الشاعى عبد المحسن الكاظمى (٢) وهو من جيله  
واحد من أربعة شعراء العراق الجوهرى والكاظمى والرصاصى  
والزهاوى :

صدق النعى ومات عبد المحسن  
يا شاعر أئمه وى نفس أحرزى

---

١ - الرسالة ٧ يناير ١٩٣٥

٢ - الرسالة ١٠ يونيه ١٩٣٥

يا شعر ومحسن قد كنتما  
 عمرا رفيقي. غربة وتوطن  
 قد عشتما في كل منزلة معا  
 كالفسوق بين اللامعين وأحسن  
 أو زهرتين ولا أراني داريا  
 أشسفت بالنسرين أم بالثنوشين  
 حتى احتوته يد المشايخ بقتة  
 بمخالب معقوفة كالحجين  
 لمن الزعامة في القريض ومن لها  
 بعد الحفي الشساعر المتفنن  
 ملأت قصائده القلوب حسانة  
 من بعد ما شسخت جفيع الالسن  
 شعر يكاد يسيل منه لفظه  
 مثل النسيدي من رقة فيهنني

## عقيدة الزهاوى

كانت عقيدة الزهاوى هى بؤرة نقد خصومه .. والدعوى المنطلقة فى كل مكان .. كان الناس يقولون ولا زالوا : ان الزهاوى كافر وملحد وزنديق ولا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر . ولا بالبعث والنشور . وهو اتهم بوجه الى كل شاعر مجدد . وكل مفكر جريء وكل مصلح سبق زمنه .. او اديب اراد ان يهز حياة قومه الجامدة .. وما من كاتب او مفكر او شاعر لم اسمه وتالف الا وكان له من خصومه مثل هذا الاتهام .

فهل الزهاوى حقاً ملحد . وما هى عقيدته .. لندع شعره فى مختلف مراحل حياته يكشف لنا عن الحقيقة .

فى ديوانه الكلم المنظوم الذى أصدره عام ١٩٠٧ وهو أول دواوينه يقص القصص على لسان امرأة تحدثت معه فى هذا الشأن قالت :

أأنت الذى بالزعم يذكر الناس  
إذا ما ردينسا لم نعد مره أخرى  
مبكر بعد الموت عود حياتنا  
وتجحد فى أقوالك الحشر والنشرا  
فلو لم تكن دار يجازى بها الفتى  
تساوى إذا من فعل الخير والشر

ويرد هو في نفس القصيدة فيقول .

ندمت على ما كنت فرطت قبل ذا  
يسوء اعتقاد لي الى الكفر جرا  
لقد قلت فولا باطلا بجهالة  
حنانك اللهم يا خالق غفرا  
لقد تبنت عما كنت معتقدا له  
فان لم تنب ربي على فواخسرا  
شهدت بأن الله ربي واحد  
تنزه عن عيب يشين له قدرا  
اذا غنى الشيطان عن منهج الهدى  
وكان يميني فانحرفت الى اليسر

وفي هذا اعتراف صريح من الزهاوي بأنه انحرف في رايه  
ثم عاد فاعتدل مرة أخرى . وفي عباراته معنى التوبة والرجوع  
الى الحق الذي اعتقله بعد أن عرفه . وما على الزهاوي من  
بأس في هذا ولا ضير :

ويقول في قصيدة : احساساتي

لست أدري اللغزاء ستمضي  
بعد ما نموت أم للخلود  
انني في شك وان ملأوا سمعي  
بوعسدي يروونه بوعبيد  
لا تثق بالجمهور يا عقل يوما  
ان رأي الجمهور غير سديد

تأكل الارض كل حى فلا تبسـهـى  
 على والد ولا مولود  
 أم كلها بيد فتانى  
 أم أخرى بمـداها للبيود  
 سوف يفقو ركب الى الموت ركبا  
 ثم لا أشدو خلفه بنشيدى  
 وفى هذه القصيدة يعود الزمردى الى الشك فى الوحدة بعد  
 الموت ولكنه لا يلبث أن يقول فى نهايتها :  
 كلنا مؤمن يسـمـح لرحمن  
 فى ظل عرشه المـمـسـود  
 اننى ما سـجـدت يوما لغير الله  
 فالله وحده معبـودى  
 وفى هذه الصراحة فوه وصفاء ووضوح :  
 وهو فى أوضاع مختلفة من شعره يدافع عن نفسه هـنا  
 لا تهم (١)

ما حياة قديمها غير باد  
 لك الا تطور فى الجمـد  
 ولقد بهلك الذى يتسوقى  
 وقد لا يعبش أهل الحيد  
 أى ذنب لى أن تباعدت  
 المسـقـة بين اعتقادهم واعتقادى

١- قصيدة تطور فى الجماد - الرسالة ٥٥ فبراير ١٩٣٣

كلما خالف الجماعة في الرأي  
ي جرى رموه بالاحساد

وفي قصيدته الضخمة : نورة في الجحيم - يعاود تصوير  
الجنة فيقول :

كان ايماني في شبابي جم - به نوره ولا نعيم -  
غير ان الشكوك هبت فلاحيتي فلم يستقر بي الشعور  
ثم عاد الايمان يقوى الى ان سلمه الشيطان الرجيم الغرور  
ثم آمنت ثم انعدت حتى قيل هذا مذنب مغرور  
ثم دافعت عنه بعد يقين من - يفعل الكمي انجسور  
ونعمت في العقائد قبل هذا - لامة غرور

ثم اني في الوقت هذا - وفي  
لسب ادرى - ذا اعتقادي الاخير

وتعطي هذه الابيات صورة الزهاوى وهو بين الايمان -  
والاحاد باحثا حتى وصل الى الاقتناع عن طريق العلم والبحث  
لا بالوراثة والتقليد وهو يقول في شأن عقيدة المقلد وعقيدة  
البصير الباحث :

امن اكتفى بخرافه فهو مؤمن  
ومن امترى فيها من الكفرار



ولدى النهاية جاهل فى جنه  
ففيها النعيم وعالم فى النار  
ولم يدع الزهاوى خصومه ينطلقون فى اتهامهم له فصرح  
فيهم صرخة عارمة :

يا قسوم مهلا . مسلم أنا مثلكم  
الله ثم الله فى تكفيرى

## حكمة الزهاوى

قال نقاد الزهاوى أنه أشبه بالمعري من ناحية واسمائه  
بالمتمنى من ناحية أخرى وأرادوا بذلك أنه يماثل المعري في  
مصائده الجريئة وآرائه في الحياة والموت وما بعد الموت وحرابه  
على خرافات الدين وأوهام العامة . . وأنه أشبه بالمتمنى في  
اعتداده وكبريائه وفلسفته واعتزازه بشعره وكذلك حكمته  
المنشورة في طوايا قصائده .

والحق أن الزهاوى كان فيلسوفاً وأنه كان يتعرض لغضايا  
الحياة في قوة وجراءة حتى لم يكن أن يطلق على أدبه دأب أدب  
القوة .

يقول :

ليس الحياة سوى زناج دأب

يا للضعيف به من الجبار

يا شبيب لستم للزوغى فتأخروا

وبدار يا شبان تم بدار

انضوا القديم وبالجديد توشحوا

حتى م تخته الون فى الاطمار

وتحرروا من نير كل خرافة

خرقاء تلقى الزيف فى الافسكار

وسحرروا من قيد كل عفيفية  
 سوداء ما فيها هدى للسارى  
 ويصور الحياة والموت فى صورة رائعة :  
 لقبيد راعنى رزايا توالى  
 والسرزايا اذ توالى تروغ  
 ورايت الايام تاكل من أعمار  
 فى الحياة وهى نجوغ  
 وكان الارض التى هى وارت  
 كل هذى القبور قبر وسيع  
 وكان السهم قبة دير  
 وكان النجوم فيها شيوخ  
 كلما شاعلت المقابر حولى  
 اخذتنى مهابة وخشوع  
 ليس للقادمين منا بقاء  
 ليس للذاهبين منا رجوع  
 ومع هلال محرم يمدو داعيا أبناء العروبة الى المجد والحرية  
 والكرامة :

ومن لى بعام لا يشمابه غيره  
 أرى فيه اطفال البغاة تقلم  
 وابخل أرض بالرجولة يقعه  
 يضام الفقى فيها ولا يتيرم

ادير عيوني في الوجوه فلا أرى  
 تتوى الذل مقبروا ولا أنوسم  
 ليحزنني أن الفئادل آثرت  
 حنونا وإن الزمير لا يبتسم  
 بيني وطي لا تستكتوا عن حقوقكم  
 اليس لكم منكم فم ينكلم  
 لكم ثروة في الارض القا بها لكم  
 وأربابها للفرب نهب مقسم  
 لا فخر الا للذي هو ماجد  
 ولا مجيد الا للذي يتفهم  
 وما الحر الا من اذا خصيم لم يظن  
 وإن قال حقا فهو لا يتعلم  
 وما بال أبناء العروبة أصبغت  
 على الذل أشباتا نشب وتهرم  
 وما بال أبناء العروبة سلمت  
 وقد كان عهدني أنها لا تسلم  
 لالام قومي الصبيد نفسي تألمت  
 لك الويل يا نفسي التي تسالم  
 وهو معيب للحياة معها علت به السن بدعو الناس إلى  
 المتاع (١) بها :

يا نفسي يا تنخدعي بالزاهد المنقطع  
 دنياك هذى تحتسوى على النعيم أجمع  
 تنعمى بخسيرها قبل دنو المصارع  
 وبالحياسة ما صفت تمتعى تمتعى  
 لكل باب تحسبين الخير خلفه اقرعى  
 وانتهزى القرصة قبل فوتها واسرعى  
 بالبسمات تبغين السؤال لا بالادمع  
 وهو اشتراكى يدعو الى المساواة

لا يعرف المولم فى الحياة الا المولم  
 ألف يعيش بائسا وواحد منهم

ثم يعاود هذا المعنى بصورة أقوى وأوضح :

ان من كدوا يزرعون البقاعا  
 اشبعوا غيرهم وباتوا جوعا  
 ربح المالكون الارض عسفا  
 ومضى كد الزارعين صبا  
 يقفر الدهر ألف بيت ليغنى  
 واحدا من افراده جمعا  
 لا ترى بين أو ليهم تويسا  
 كانوا للاموال أو منسا  
 ومن العدل يكون نتاج الارض  
 بين المستثمر من متسا

ان يبين الحق المحصن والباطل  
منذ الدهر القديم نزاعا  
ولقد ذكر الزهاوى كثيرا انه تتلمذ لابي العلاء وهو يقول  
مخاطبا اياه فى قصيدة له من ديوان الاوشال :

وانى اكبر شئ فيك يعجبني  
سخرية من تقليد وعصيان  
أنكروا فيك الحسادا وزندقة  
وعلى ما أنكروه فيك بهتان  
اننى تتلمذت فى بيتى عليك وان  
أبليت عظامك أزمان وأزمان  
أصابنى فى زمانى ما أصابك من  
حيف فما رد هذا الحيف انسان

وهكذا يصل الزهاوى الى أن يربط نفسه بالمعروف فى تشابه  
حياتهما وما لقياء من الجماهير  
وفد عارض الزهاوى قصيدة ابن سينا عن الروح فقال :

طارت بعز للسماء الا رفع  
ورقاد كانت فيك ذات تخضع  
قد كان مسكنها بجسمك ضيقا  
واليوم تسبح فى مكان أوسع  
الله أرببها اليك وبعده أن  
مكثت قليلا فيك قل لها ارجعى

وان كان لم سم هذه القصيدة وقال : حال دون امامها مانع .

خدعوها بقولهم حسساء  
شعرها الليل والجبين ذكاء  
غرم ذلك النساء فلانت  
والغواني بغرهن النساء

ومن شعره الحكمي قوله :

ما اكبر الاخلاق في نفسي امرى  
ان حاشنته الناس لم يخشوشن

وقوله :

ما قلب سينا عني  
الا وعقبني  
أنا ابن عملي وحده  
تنبئي عني كلمي  
به اهتديت في شـبابي  
مثلما في هـرمي  
ربما كانت أمـور  
أنا عنـهن عمي

## دموع الزهاوى

لدموع الزهاوى قصة طريفة .. فقد عرف بأنه صاحب  
دمعة .. وكان هذا مصدرا من مصادر متاعبه . ولطالما ردد فى  
شعره قصة الدمع .. غير انه عاد فى آخر أيامه . فدعا الدمع  
الى أن يقر فى العيون .. ويرجع على الاعتقاب :  
يقول فى ديوان الكلم المنظوم :

الأياد مع انك ترجمسانى  
فبين للأحبة ما أعسانى  
اليهم فى فى فؤادى بعض تسكو  
ى لسانك فيك أفصح من لسانى  
ويقول :

ابك فان عبرة الباكين سلوى لهم  
اليس شعر الدم فى وجه الحزين يبسم  
ويقول الأستاذ ناصر الحائى فى محاضراته عن الزهاوى :  
« عرف ان دموعه طيبة ، وانه يبكى اذا ضجر وثار . ويبكى  
اذا ابتهج وسر . وعرف عنه بعض مناوئيه ومفيظيه هذا ..  
فراحوا يثيرونه ويشيعون عنه ما يبعث الفرح اليه حيناً ..  
وما يفيظه ويبعث الثورة فى نفسه أحياناً . وظل يعيش فى



عالم خاص به - لاسيما في شيخوخته - ويرى أن قومه لم  
ينصفوه " "

وهو في قصيدة : دمعتي يكاد يصور هذه المعاني كلها :

أنت أما أن تخففين مصيبي  
دمعتي فأرجعي على الاعتساب  
أنت لا تدرئين عني دائي  
أنت لا تصلحين منه خسراني  
أنت لا تجدينني في شيقائي  
أنت لا تنقذينني من عسائري  
أنت لا تدفين وطاة شيبتي  
أنت لا ترجعين عهد شيباتي  
أنت لا تقيدرين أن تهبينني  
راحة أو تسكني أعصابي  
انما أنت قطره مستبيلين  
إذا سلت بقعة من ثيابي  
أو تضيعين بين لحيتي البيضاء  
أو تنبضين فوق الشراب  
أرجعي فالحياة ليست تساو  
أن نخري من حائق كالشهاب  
لا تخري وإن قضى أن نخري  
سبب قاهر من الامتداد

ان نفسي لا نرضى ان بهـوسى  
 كشجونى وان ملائن أهـسابى  
 يا ابنة الهم . ان غرفتك القلب  
 فلا تخرجى الى الابواب  
 انا لئن أسأل الغيـون بكاء  
 لتكونى على السؤال جوابى  
 واذا ما هبطت بالرغم منى  
 طال يادى معتى عليك عتـسابى  
 انا ان بكيت أبكى بشـعرى  
 ولقد أهديه الى الاحـباب  
 كل بيت منه اذا عـزروه  
 دمعـة ترقـ على الاداب  
 بين شعرى وما يجيش بصـدرى  
 من شعور وشائج الانساب  
 انا عنه محدث وهو عنى  
 وكلانا فى القـول غير محاب

ويقول فى رسائله ان آلامى المعنوية اكبر من آلامى المادية .  
 فانى كلما رأيت تقدم الشعب بطيئا استولى على اليأس . وكلما  
 انخدع بالباطل تمزق قلبى من الـاسى . . . وكلما خضع للظلم  
 شـرقت بدمى .

## الشعر المرسل

دعا الزهوى الى الشعر المرسل وحاوله على أساس انه جزء من دعونه الى حرية التعبير والقصيد . وفي نشره في حلال يونيه ١٩٢٧ قصيدة أطلق عليها اسم « بعد ألف عام » وقال انها قصيدة من الشعر المرسل الذي استحدثته في الشعر العربي مطلقا اياه من قيد القوافي . ذلك القيد الثقيل الذي تبرم به الشاعر وحببته الالفه الى السمع وما أرى لالتزامه من ضرر غير انه من تراث الماضي الذي بقي دهورا يشل الشعر في مجموعه . . فلا يمنحه حرية لايراد القصص وبث الاراء والوصف كما ينبغي . ولا يدلله في الموسيقى التي تجعل الشعر الا وهي الوزن . . وحسبك دليلا على أن البيت الواحد يتمثل به الكاتب فيلذه القارئ عارفا أنه شعر من غير أن يسأل عن موافقته لرديفه في القافية . .

ما أغنى أرجل غواني الشعر عن خلاخيل القافية . . وأغنى السمع عن سماع وسوستها التي تشوش عليه موسيقى الوزن ومن نكد الشعر العربي أن فيد القافية فيه أثقل منه في الشعر العربي . . بطيء التطور بحسب الحاجات العصرية التي لا يشبعها ذلك القديم الضيق واني لا أريد اليوم رفع القافيد من كل اقسام الشعر فذلك عسير على الاذواق التي ألفتها منذ

عصور طويلة وأحقاب بعيدة . . ولكن أي ياس في أن يوجد نوع من الشعر المرسل كما يوجد المقيد . وان يكون هذا النوع خاصا بالقصص والوصف والجدل والحكم حيث ينبغي أن يسير على صوت موسيقى الوزن حرا طليقا في مجال واسع لا يرسف في قيوده متقلا .

وقد نشرت لي المؤيد في مصر قبل أكثر من عشرين سنة قصيدة بعنوان الشعر المرسل ونشرت لي جريدة في العراق قصيدة أخرى قبل سنتين تقريبا فقامت حول هذه قصيدته المذهظين على القديم . وكان لي يومئذ انصهار كما كان لي خاذلون . وقد رددت على نقد الناقدين يومئذ بسلسلة مقالات أثبت فيها أنهم كانوا على باطل . .

والواقع أن الزهاوي حاول أن يكسب انصارا للشعر المرسل ولكنه هو شخصيا رجع عنه بعد ذلك إلى النظم والقافية بعد أن تبين أنه لا يرضى إلا القليل . ولعل هذا النموذج الذي نورد من قصيدة «بعد الفجر» يبين مدى نجاح التجربة .

حكومتهم شبه اشتراكية فما تنعم بأفراد وتشقى جماهير  
يمشون أحرارا فليس مسيطرا عليهم سوى الحكمل  
أحاطوا بأسرار الطبيعة خبرة

فلم يبق عنهم من نواميسها خافي  
وقد عرفوا عفو الغريزة كل ما له نحن كنا بالروية نعرف

وإذا ما أرادوا السير وأحسوا واسع  
 وأما أرادوا المكث فالأرض مبهمة  
 يرى بعضهم بعضاً ويسمع صوته  
 وبينهما الأرض القصوى تفصل  
 ويقرا كل منهم فكر غيره  
 قديرا فلا تخفى عليه السرور  
 وقد كان الزهاوى في هذا يقول فيرون وغيرهم  
 من المتنبئين .

## بين الزهاوى والرسافى

عاصر الزهاوى ثلاثة شعراء فى العراق : الرسافى والكاظمى والجواهري . . ولكنه ارتبط فى ذهن الكثيرين بالرسافى . ولعل مرجع ذلك الى أنهما كانا كفرنسى وهان فى ميدان واحد : وقد وصف كل منهما بالجرأة على المعتقدات .

والواقع أن الزهاوى ولد سنة ١٦٨٣ توفى عام ١٩٣٦ وعاش ٧٣ عاما والرسافى ولد عام ١٨٧٥ أى بعد الزهاوى باثني عشر عاما وعاش حتى سنة ١٩٤٥ وبلغ من العمر سبعين سنة .

وقد قيل كثيرا أن هناك خلاف بينهما ولكن الزهاوى قال غير هذا فى بعض قصائده ان الرسافى بالنسبة له كهسارون الى موسى وقدم نفسه كعادته

وانى بمعسوف لاأعتر انه

أخو ثقة والحسر يعتز بالحسر

كلانا يريد الحق فيما يقوله

وانى واياه الى غاية نجرى

فخذ ييدى اللهم فى كل دعسوة

وهذا أخى معروف فأشديد به أزرى

كما أشار الزهاوى فى رسائله (يناير ١٩٤٧) ومجلة  
 (الكاتب المصرى) بقوله : أما النزاع بينى وبين الاستغلاء الرصافى  
 فليس اليوم كما يكبره المرجفون فكثيرا ما نتلاقى كصديقين .  
 ومعنى هذا ان هناك خلافا كان قائما فى فترة ما . ولمست  
 اعرف وجهة نظر الرصافى فى هذا الخلاف كما لم يصل الى  
 أن الرصافى رثى الزهاوى بعد موته والواقع أن هناك فارق  
 وخلافا شديدين بين منهج كل من الشعاعين ومنهجهما فى  
 الشعر والحياة . ولعل الزيت حين وصفت الزهاوى بأنه كان  
 فريه من المعرى وأن الرصافى كان فريه من أبى نواس كان  
 يعكس الحقيقة . . فقد عرف أن الرصافى عاش حياة عارية  
 جريئة كلها متع وخمر وجراة على التقلب . . بينما لم  
 ذلك الزهاوى الذى كان مريضا . . وكان حريصا على الاحتفاظ  
 بمظهر الوقار والكبرياء ليترك فى نفوس الناس دائما صورة  
 الدعاة وأصحاب الرسالات .  
 وما قاله الزيت أن الرصافى (١) يميز بأصراحة الجمال  
 والاستهتار البالغ . وأنه هو نواس العسراق فى حين كان  
 أسناده الألوسى يريد أن يحلف معروفا الكرخى الصمصوى  
 المعروف . ولعل اضطراب حياة الرصافى يرجع الى أنه لم يجد  
 ما كان يطمح فيه من مكان فى عهد فيصل مما دعاه الى أن يعلن  
 الخصومة على الملك ووزرائه

ولكن هذا لا ينقص من قدره كشاعر . يضممه النقاد بين  
 الاوتار الخمسة للشعر العربي الزهاوي والرصافي وشوقي  
 وحافظ ومطران (١) وكان الدكتور طه حسين قد مضى بأمانة  
 الشعر التقليدي للحراق بعد وفاة شوقي (١٩٣٢) وقد علق  
 الزيات على هذا بأن الزهاوي يفضل أن يكون في ساحة المجتهدين  
 على أن يكون في طليعة المبدعين .  
 وقيل إن الفرق بين الزهاوي والرصافي أن الزهاوي  
 أدبته عالم والرصافي فنان أديب .



## الزهاوى فى رأى مؤرخيه

يروى الاسندذ الزيت أن الزهاوى كان يحضر فى آخر أيامه ندوة السيد صبحى الدفتري محفظ بعناد فى داره ضخمى الجمعة من كل أسبوع يحضره الزرراء والزعماء والادباء والقادة . . فيكون لكل طائفة منهم حلقه وحديث . . ولكن الزهاوى كان اذا تكلم أصغت اليه الدار وتحلقت عليه الندوة لان جميلا كان آية الله فى فكاة الطبع وظروف المحاضرة وحلاوة الدعابة ورقة العبث . . وكان له فى لقاء النادرة لهجة واشارة وهيئة لا يبرح سامعها مستطار القلب نسوان المشاعر من غرابة ما يرى وطرافة ما يسمع .

ولعل ابلغ مظاهر حياته هو ذلك القلق والتشاوم والتملن ولا يشعر بالطمأنينة ينطلق يشكو دائما كل من يلقيه عن جمود الامة واغفال الدولة وكيد الخصوم والحاح المرضى . . وكانت الحيوية تقبض من كلمته . . والعزيمة تصطرم فى نظراته . . وهو كتلة من الاعصاب القوية المستوددة (١)

---

١ - وحى الرسالة ٢ الصادر عام ١٩٤٤

١ - الزيت - الرسالة ١٩٤٧

وهو بين الشكوى والزهو والطموح والقلق والتمرد يعيش حياته

يقول الزيات : كان الزهاوى يهزج بأغساريد الفجر على ضفاف دجله فتتردد أصداؤها الموقظة في ربوات بردى وخمائل النيل وسواحل المغرب . وأدب الزهاوى وأمثاله هو الذى أوصل القلوب العربية فى مجاهل القرون القديمة بخيوط الهية غير منظورة ولولاها لما تهيأ العراق هذه الزروة .

وانه ساعد على انهاض العرب بوثوب فكره . . وعلى احياء الادب بوميض روحه .

وقد قال بعض مؤرخيه انه : راوية لا يبارى . . فكان صدره يعى من الاخبار والنكات والحوادث ما تضيق دونه المجلدات وكان له فى الرواية أسلوب خاص يأخذ بمجامع سامعيه .  
وانه كان فى أخريات أيامه يتردد على قهوة معروفة فى بغداد فيلتف حوله تلاميذه ومريده ويستمعون الى رواياته الشائقة وأحاديثه الممتعة ونوادره المضحكة ولا يقاطعونه ولا يجرمون على معارضته .

وقد عنى بعض المستشرقين والكتاب الاجانب بآثاره وكتب أمين مكتبة الفاتيكان الكبرى : ان ما يحتوى عليه ديوان الاوشال هو أروع ما قرأناه فى الشعر العربى العصرى . وكتب المستشرق الدكتور ودمر الالماني ترجمة حياته . وترجم قصيدة ثورة فى الجحيم وخمسين قصيدة من اللباب و٥٣ رباعية الى الالمانية وكتبت عنه بعض صحف برلين مقالات وابحاث .

وجملة فول نقاده ومؤرخيه : أنه حصل لواء التجديد في الشعر العربي ودعا الى الاخذ بكل جديد من الآراء والأفكار .  
 وتحميل في سبيل ذلك كل أذى فقد كانت بيئة العراق جمود وظلام وقد غمرتها الأمية وطمغى عليها الجهل . (١) وقد ألف الناس الخضوع لجبروت الحكم والخضوع لبالي العادات .  
 وما أضغاث المشعوذون عليها من أثواب التقديس والتعظيم . .  
 وكان أي واحد يخرج على بعض التقاليد يتهم بالزندقة والكفر أو يتحدث عن شيء مما ابتكره الغرب حتى يرمى بالبدعة والمروق في الدين .

وقد نقد الأستاذ سليم طه زباعياته . . وقال انها ركيكة المعنى مهلهلة الأسلوب تعوزها الصناعة الفنية وتنقصها دقة التعبير الى جانب السبك في النظم وحسن اختيار الكلمات .  
 ومن جماع ما يقال أن القلق كان أبرز معالم شخصيته . .  
 وان ارتفاع السن والحياة الطويلة أعطته شيئاً من القداسة .  
 وان عواطفه وآرائه تبلورت بعد سن الأربعين . وانه لم ينظم شعراً في الثورة العراقية وان والدته هي التي أورثته الصلابة ولعناده . وانه كان يحب المدح والاطراء ويضيق بالنقد ذرعاً .  
 وانه متأثر بأحداث العراق والبلاد العربية وانه عاش حيساته شاكياً ضجراً قلقاً . وكان التشاؤم والتعطيب والضيق والشكوى من أبرز مظاهر حياته . . وقيل ان غلله وأمراضه التي لازمته طوال حياته لها أثرها في اتجاهاته وكانت مصدر

١ - من مقال في مجلة يونيه ١٩٤٩

فلمد وجزعه واكتسابه وقالوا ان فيه تناقض واضطراب وعاطفته تغلب عقله أحيانا . ولا يستطيع أن يطوى صدره على الاوهام الخاصة . . وكان يحس بأنه دون قدره وان لم يعط ما كان خليقا به .

وقد سبق الزهاوى جيله وتأثر بالتيارات الفكرية وعاش في مرحلة انتقال واضطراب بين الدين والوطنية وبين العثمانية والحرية وبين الاستعمار والاستقلال وبين الترك والحرب . . وأبرز ما فيه ثباته على ما دعا اليه . وقد عرف « بنيلي » فقد كانت (١) حلمه الذي صبا اليه وأمانيه التي حط عندها رجاله فهي في في الحقيقة وطنه العراق وهي فتاة أحبها أيام كان في الاستانة .

وقد أطلق زوفائيل بطي على الزهاوى اسم « فيلسوف بغداد في القرن العشرين » وانه لم يحس في حياته بالتقدير من وطنه ولا من الادباء .

وقال نقاده : ان شدة حقه على المجتمع يرجع الى علة لازمتها طوال حياته . والمرء شديد الانفعال في مثل هذه الاحوال اذ يرى نفسه رازحا تحت ثقل الآلام حـالة ان غبره ممن ليس أجدر منه بنعم الحياة يتمتع بها لذ وطاب ويسير في الارض مرحا وعليه نجد شعره ضربا من الفلسفة الاجتماعية وقد أدركته علة في النخاع الشوكي وهو في منتصف العقد الثالث من عمره

فتبعتها علل أخرى لم يكن الشلل إلا بعضها . لهذا كان يسير دائما راكبا وبرفقته خادمه الأمين . . فإذا ترجل توكا عليه حتى يصل الى مجلسه .

وكان الزهاوى يميل الى البساطة فى كل شىء ويتجنب كل كل ما يشف عن العظمة والعطسة وكان بيته رمزا على بساطه عيشه . وكانت حديقة منزله على صغر مساحتها دليلا على حسن ذوقه وشدة ميله الى الطبيعة .

وكان الزهاوى يبسط آراءه بكل صراحة ولا يعبا بانتقاد يوجه اليه وكان شديد الانفعال ينتقل من الغضب الى الفرح فى طرفة عين . ويقول ان الحياة أقصر من أن يضيعها المرء فيما يسوء .

وكان الزهاوى شديد الولع بمشاهدة السينما ويحب مصر وادبها وفنها وتمثيلها وغنائها .

ويقول اسماعيل ادهم فى دراسة قصيرة له عن الزهاوى انه تأثر بشبلى شمبل فبعد أن كان يؤمن بالدين أثارت هذه الفصول فى نفسه روح الجراءة على المقدساتوانه تأثر بالوهابية تأثيرا عكسيا فرد على دعائها فى كتاب بعنوان : الفجر الصادق فى الرد على منكرى الكرامات والخوارق .

وان رأيه فى المرأة هو رأى أفلاطون الذى يرى ان المرأة

وان كانت أقل في الاستعداد الطبيعي الا انها تقرب من  
استعداد الرجل .

وقال اسماعيل أدهم ان أبرز معالم شعر الزهاوى اتجاهه  
العقلى فى الشعر بعيدا عن الخيال والتأمل الفلسفى وانه حمل  
الشعر رسالة العلم . وقد جمع بين العقلية العلمية مع القدرة  
على النظم . وكان فى احساسه الشعور بسبق الزمن .

## الادب العراقي في عصره

كان العراق في العصر السابق لاعلان الدستور العثماني . . يعيش في جو مظلم حانق من دسائس السلطان عبد الحميد . لم يكن هناك من يجروا على كلمات الحرية والاستقلال وفي خلال هذا العهد هاجر جميع احرار الفكر الى مصر وتركوا البلاد التي تحكمها تركيا العثمانية . . واكتفى الزهاوي بأن ينظم نفثات قلبه ويرسل بها الى المؤيد والصحف المصرية مهاجما عهد عبد الحميد ومطالبيا بالحرية والسفور . فلما أعلن الدستور سنة ١٩٠٨ قوبل ذلك في العراق بالفرح الشديد والتهليل املا في الفرص التي سيتيحها الدستور للناس في حرية القول والرأى والنشر . وكان الزهاوي في مقدمة الذين اهتزوا لهذا الحدث الكبير .

وبدا الادب العراقي يدخل في دور جديد حيث انبعثت منه حركة أدبية ضخمة . كان قوامها مدرسة الالوسي في بغداد وعميدها محمود شكرى الالوسي . ومفتدى الشيخ أمين غالى في البصرة ومكتبه دير الادباء الكرملين ببغداد .

كما حافظت النجف على استقلالها الادبي وتراثها الروحي فما زالت دار علم ومدرسة للثقافة فيها أسر قديمة توارثت

طلب العلم والادب خلفا عن سلف وأساتذة ممتازون في المنقول والمعقول ولها مكتبات غنية بما ينشده الباحث والاديب (١)  
وقد أقامت الطبقات الادبية التي ظهرت في هذا العصر ادبها على أنقاض أدب النجف الطبطبائي والفحام والنحوي والاعيسم . ومن شعراء الحلة جمهور الحلي ومحسن الخضري وسعيد الحبوبى .

وقل في هذا العصر المدح في الشعر وكثر الوصف . واتجه الشعراء الى وحدة الموضوع في قصائدهم بدلا من تعدد المواضيع . وشاع الشعر السياسى والاجتماعى .  
ولم تنس المراق ادبها التقليدى الرائع : الادب العلوى الحسينى الذى يحمل دعوة الكفاح والجهاد . . ويرسم صورة البطولة والدفاع عن النفس والعقيدة وذكر امجاد الاسلام والعراق ولعروبة وقد كان للنهضة الادبية الحديثة في العراق اثره الواضح فى القصائد والملاحم الجديدة التى تحدثت عن التضحية والبطولة .

ولم يلبث العراق بعد قليل ان ثار ثورة عارمة مجيدة تحدث عنها القاصى والدانى سنة ١٩٢٠ كانت بداية عصر التحرر والوطنية . . انتهت معها معالم الاستبداد العثمانى وظهرت القومية العربية جهيرة حية واضحة . وبدأت مرحلة

---

١ محمد رضا الشيبينى : بحث فى المجمع اللغوى ٢٠ ديسمبر

سنة ١٩٤٨



جديدة من مراحل الكفاح لمقاومة الاحتلال البريطاني وإرساء قواعد حياة وطنية جديدة قوامها الدستور والنيابة والعهد الجديد الذي كان على رأسه فيصل ومن بعده غازي وفي خلال هذا التاريخ الطويل كان الزهاوي والرصافي والجواهري والكاظمي أبرز شعراء الفترة .

وقد كانت مظاهر الادب العراقي كما صورته الاستاذ الشيبيني جزالة عربية في الالفاظ ومحاكاة للقدماء وجمود على الفنون الشعرية المألوفة حتى جاء الزهاوي والرصافي فجلبا الشعر ودفعاه دفعة قوية الى الامام حيث حرراه من بعض قيوده فاتجه الادب العراقي الى الواقعية وكان هذا تطورا طبيعيا حيث زالت نظم مألوفة في الحكم وحلت بدلا منها أخرى استتبع تغيرا في أساليب الفكر والنظم والكتابة .

وقد كان شعر الزهاوي والرصافي والكاظمي على الاختلاف البعيد في اتجاهاتهم واساليبهم ترجمانا لحياة العراق وما يجيش في نفوس أهله وما وقع فيه من أفراح ومآسى . ومن ناحية اللفظ يتجلى في الشعر العراقي رصانة في مبناءه وصفاء ديباجة وبيان مشرق . . ولعل شعرا في العالم العربي لم تقم فيه دعوة قوية الى التجديد والتطور والتعامل على القديم مثلما حدث للشعر العراقي .

يقول الدكتور زكي مبارك أن الادب العراقي الحديث انتفع بثلاثة ينابيع : أولهما الادب الفارسي . . والادب التركي والادب المصري هذا بالإضافة الى الادب العربي القديم .

وقد نظم الزهاوى الشعر بالفارسية يوم ذهب الى ايران  
للاشتراك فى احياء ذكرى الفردوس .

وقد عرف الشعر العراقى الشاعر الفيلسوف فى الزهاوى  
والشاعر الاديب فى الرصافى وفى الشاعر العربى التقليدى فى  
الكاظمى وفى شعر الموشحات فى الجببى .

ويتميز الادب العربى بالحديث عن الامة العربية ويرسم  
صورا كثيرة من الشام ومصر .

فكثير من أدباء العراق عاشوا فى مصر . والاخوانيات من  
ابرز مظاهر الادب العراقى فهم يتراسلون بالرسائل والقصائد  
وقال زكى مبارك أن شعراء العصر فريقان . . فريق يترسم  
خطى شعراء الجيل فى الماضى القريب ويجسرى على سننهم  
المعروف فى المذاهب والاساليب مع نىء من التجديد : أحمد  
الصفافى والحيوبى واليعقوبى والجواهرى والمقلد والخطيب  
والجعفرى وشعراء الرابطة العلمية الادبية فى النجف والفريق  
الاخر من شعراء الشباب الذى يميل الى مجازاة الغربيين ويحاول  
أن يتعاطى النظم على طريقتهم المعروفة وعددهم قليل .

وللادب العراقى الحديث فى مراحل فترات من اظهرها  
جنوحه الى التشاؤم والشكوى . ووصف مظاهر البؤس  
والحرمان فى كثير من الاحيان ومن مميزاته نزوع ظاهرى الى  
العنف فى مقاضاة الطبقة الحاكمة والدفاع عن حقوق الطبقة  
المحكومة .

وفى ميدان النشر طائفة من الباحثين والعلماء المنقطعين

للدراستات الفكرية يؤلفون ويدرسون وينشرون ولهم مؤلفات  
وتصانيف أبحاث منهم بهجت الاثرى ومصطفى جواد وعباس  
غزاوى وجواد على وأحمد سوسة وكوركيس عواد

وقامت الصحافة العراقية بدور ضخم فى سبيل الحركة  
الوطنية العراقية وكان لكتابها جهد ملحوظ ويفسول زكى  
مبارك أن المقالة القاسية فى جريدة عراقية . . . فهى تزلزل  
احساس الجمهور أعنف الزلزال . . . وقد أغلقت جريدة عربية  
لأنها كتبت مقالا عنوانه الفرات الهائج لأنها تناست الفرق بين  
الهياج والظنيان . . . والهياج يضاف الى السكن أما الظنيان  
فيضاف الى الماء . . .

وهكذا يبدو الزهاوى بعيد الاثر فى أدب العراق . . . اشترك  
فيه أكثر من خمسين عاما فى ثلاث عهود . . . قبل الدستور  
وبعده وفى عهد الاستقلال والوطنية . . . وناصح عن العراق والعرب  
والحرية الفكرية وطالب بتحرر المرأة . . . وهز قوائم المجتمع  
العربى بدعوته الحرة وجرائته الخالصة واندفاعاته المتحررة فى  
تجديد نظم الشعر وتوجيهه من التقليد والعنسية باللفظ . . .  
وموضوعات الشعر القديمة الى الاقتحام فى ميدان السياسة  
والاجتماع والاختراعات الحديثة وحمل لواء التجديد . . .

وقد واجه المحافظون الزهاوى بالنقد وقاوموا دعوته وأسلوبه  
ولكن الزمن تغير وأصبح الزهاوى مظهرا واضحا من مظاهر  
الادب العراقى وقمة من قممه ومفخرة من مفاخره . . . فقد كتب  
للادب العراقى صفحة مشرقة ومثل فى الادب العربى المعاصر

## زاوية حية .

وحق ما قال الزهاوى أنه سباتى اليوم الذى يدرك فيه المؤرخون مدى عظمة الدور الذى قام به وفى العراق اليوم تلاميذ الزهاوى وشباب العراق الذين غنى لهم الزهاوى سنوات وسنوات يسировن على نهجه ويؤمنون به .

واليوم وقد مضى على موت الزهاوى بضعة وعشرين سنة فقد بطلت الخصومة وزال الخلاف وآمن العراق بأن الزهاوى كان علما من أعلام الحرية فى تاريخه وأنه دفع العراق الى الامام بقوة . . وأن هباته هى هبات البشر التى لا تتخلف مع الطبائع الانسانية لاسيما بالنسبة للزمن الذى عاش فيه وما كان فيه من ظلام واستبداد . وبالنسبة لحياته الطويلة المديدة . .

واليوم نرى الزهاوى وهو يعثل ركنا قويا من أركان الادب العربى المعاصر وجانبها هاما من جوانبه بالاضافة الى زملائه واترابه شمسوفى وحافظ ومطران والرصافى والسكاظمى واليوم حين أتم هذا البحث أذكر انى أعددت بحثا عن الزهاوى سنة ١٩٣٩ وأنا فى مطلع الحياة الادبية وقد قلت فى مقدمة هذا البحث : ما عشقت فى حياتى قدر رغبتى فى الكتابة عن هذا الرجل الشاعر الذى يغلب سحر كلمة على روحى فيردنى عن الحياة الى أجواء تسمو وتسمو حتى تبلغ عنان السماء .

وفى سنة ١٩٥٤ كتب عدد من الدراسات عن الأدباء

المعاصرين (١) من بينها دراسة عن الزهاوى أنقل منها ما قد يكون مكملًا لهذه الدراسة من جوانب حياته

ظل الزهاوى سابقًا لعصره متهما بين أهل جيله وبلده بالزندقة والجنون والالحاد . وقد منحه العمر الطويل وتقلب الزمن حيث عاش إلى سن السبعين مسحة من القداسة الرائعة خاصة بعد أن تخطت العراق مرحلة الانتقال . وقد اضطر في إبان محنته إلى بيع معظم كتبه ولعل دفاعه عن حرية المرأة متصل إلى حد كبير بأثر المرأة في حياته وفنه وقد أثرت عنه في إبن اقامته في استانبول مغامرات وضميمة حيث أطلق لهواه العنان بعد أن فارق بيئة العراق . ولكنه على ما طبع عليه من قلق لم يعرف الحب المديد أو يالف العشق الطويل المدى . ويبدو أن الزهاوى في الحب أشبه بشوقي فهو على طبيعته المتكبرة لا يصل إلى أعماق الحب ولا يسبر غوره وهو ليس من الروحيين الغزليين وأقرب إلى الواقعية الادمية ولا تجدد عنده تلك الحرارة الدافقة في العاطفة

ولعله وجد في مصر أيضا سبيلا إلى عاطفة أو حب . وهو في كل أحواله عن المرأة والدعوة إلى تحريرها ليس اداعية بالتعلم . . . إذ أنه لم يستجب لذلك في حياته الخاصة . فقد كان الزهاوى زوجا وكان زوجته متحجبة . وقد وصفت هذه الحياة بأنها كانت هادئة مرضية لنفسه . وقد تزوج الزهاوى

فى سن مبكرة . وامكن ان تهيم له زوجه اسباب الراحة  
والنفسية على ما به من شئود . . اذ كانت خير معز لى فى المحن  
الفكرية والسياسية التى تعرضت لها . . وفى خلال سنوات  
مرضه باعصابه فقد كانت تعنى به عناية الام بطفلها وتهتم  
بهندامه وتنظيم مكتبته وقد سافرت معه ابان سفره الى مصر  
وسوريا . ومن أبرز معالم حياة الزهاوى الخاصة انه لم يوزق  
أولادا ولعل ذلك كان مصدرا من مصادر اضطرابه النفسى .

وقد وصفه بعض النقاد بأنه ناظم وليس بشاعر وقال عنه  
النقاد يوسف جورج : انه ليس شاعرا . اذ أن الشاعر يعتمد  
على العاطفة والخيال قبل العقل . والزهاوى كان لا ييسالى  
المواطف والخيال أبدا .

وبعد فالزهاوى قوة أدبية كبيرة فى تاريخ العراق الذى أحبه  
وفى تاريخ الادب العربى المعاصر . . وهو علم من أعلام الفكر  
والشعر والفلسفة العربية الحديثة يمثل جانبا واضحا هو  
الحرية الفكرية والتجديد والسعوة الى الاصلاح الاجتماعى . .  
بحمده الله .

أنور الجنيدى

# الشركة العامة للبترول

١٤ شارع سليمان باشا القاهرة

تعلن الشركة عن مناقصة عامة لعمليات نقل مهمات  
ومعدات - لمدة عام - ويمكن الحصول على دفتر  
الاشتراطات من إدارة العمليات بالشركة نظير دفع رسم  
قدره ٢ جنيه - اثنين جنيه تقبل العطاءات حتى ظهر يوم  
الاثنين ٢٩ فبراير سنة ١٩٦٠ م

---

الدار القومية للطباعة والنشر  
شركة ذات مسؤولية محدودة  
٣٠ شارع منصور - القاهرة  
ص.ب ٢٣٩٨

---